وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

الواقعية الاجتماعية في الرواية المغربية المعاصرة

"محاولة عيش لمحمد زفزاف أنموذجا"

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتان:
- حويشة أمال
- بودربالة أحلام

إشراف الأستاذ:
- عبد العالي زغيلط

لجنة المناقشة

الدكتور فيصل الأحمر.....	جامعة جيجل	رئيسا
الدكتور: عبد العالي زغيلط	جامعة جيجل	مشرفا
الدكتور: خالد أقيس.....	جامعة جيجل.....	مناقشا

السنة الجامعية 2020/2019

بسم الله الرحمان الرحيم

دعاء

يـــا رب إن عظمـــت ذنـــوبي كثـــرة

فلقـــد علمـــت بـــأن عفـــوك أعظـــم

إن كـــــان لا يرجـــــوك إلا محســـــن

فمـــن الـــذي يـــدعو ويرجـــو المجـــرم

أدعـــوك ربـــي كمـــا أمـــرت تضـــرعا

فـــإذا رددت يـــدي فمـــن ذا يـــرحم

مـــــالي إليـــــك وســـــيلة إلا الرجـــــا

وجميـــل ظنـــي ثـــم إنـــي مســـلم

شكر وعرفان

أولا نحمد الله عز وجل الذي وفقنا لتتويج عملنا

وبكل معاني الشكر والعرفان نتوجه لكل من أمدنا بالمساعدة سواء من قريب أو من بعيد ووقف إلى جانبنا لإخراج هذا العمل على هذه الصورة، وإن كان لنا أن نخص أحدا بالذكر فلا يسعنا إلا أن نقدم خالص شكرنا وامتناننا للأستاذ القدير الذي أشرف على هذا العمل " **الأستاذ عبد العالي زغيلط**" مثنين على توجهاته الثمينة ، وأخيرا فإن وفق هذا العمل وحوى في طياته على إيجابيات ونجاح يذكر فهو منسوب لجميع من ساعدنا .

إهداء امال

أهدي هذا العمل لكل من أحبهم ويتوق القلب

ليخاطب من شذى بذكرهما اللسان وقال فيهما الرحمن:

<<وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا>>

إلى أوفى الخلق وأحبهم إلى القلب.

إلى الوالدة الكريمة أعزها الله لطالما كنت نورا يضيئ عتمة الحياة، وكنت سبيلا نهتدي به في العترات.

إلى أحن الخلق وأقربهم إلى القلب.

من كان لي فخرا، وسندا أحتمي به.

من تعب وكد من أجل أن أعيش بسلام، ومن أجل هذه اللحظات ...

إلى أبي العظيم أحمد الله أن جعلني ابنة لرجل مثلك فلك كامل الشكر والعرفان.

إلى كل من كانوا ولا يزالون عونا وذراعا لي .

من هم عزوتي بعد الوالدين.

إلى الإخوة الكرام إناثا وذكرانا، كم تعبتم معي وكم أتعبتكم فلكم جزيل الحب والشكر.

إلى أولئك الكتاكيت الصغار التي تزيد من بهاء الحياة ورونقها، وتجعل للحياة نسائم خاصة، أبناء الإخوة والأخوات.

وختاما أهدي هذا العمل إلى كل من ساهم في إنجاحه من أساتذة مشرفين ومناقشين، ومن زملاء، كما نهديه إلى كلية الآداب واللغات بجامعة جيجل.

إهداء أحلام

أتقدم بإهداء هذا العمل إلى الذي منني كل ما يملك....

إلى روح صاحب السيرة العطرة فلقد كان له الفضل في البدئ والآخر.

أبي الغالي أسكنك الله فسيح جنانه.

إلى التي وضعتني على طريق الحياة، وجعلتني رابطة الجأش.

منبع الدفء والحنان وملاكي الحارس التي أنارت دربي، وأشعلت حياتي فرحا وعلمتني كيف أبتلع الحياة

والدتي الغالية أرجو أن أكون قد بلغت رضاك، حفظك المولى وأدامك تاجا فوق رؤوسنا.

إلى بركة العائلة ودفئها أجدادي.

إلى من كانوا سندا لي في كل خطوة في الحياة.

أولئك الذين يستفيض القلب بهم حبا، رضوان،عزوز، سليمة، ريمة.

إخوتي وأخواتي أحبكم.

إلى اللواتي تقاسمت معهم الحياة وزادوها بهاء بصحبتهم حورية، عبلة، سلمى، سلمى، ليلى.

وأخيرا أتوجه بالإهداء إلى كل الأستاذة الكرام وكل العائلة العلمية بكلية اللغات والآداب.

مقدمة

الأدب الروائي في جوهره فن من الفنون الجميلة يعكس مظهرا من مظاهر الحياة الاجتماعية ينزل إلى الواقع، وينهل من قضاياه، فينفذ إلى أغوار مشكلات الإنسان والواقع من إجل الإسهام في تغييره تغييرا جذريا، وقد شهد القرنان الأخيران (التاسع عشر والعشرين) اهتماما كبيرا بمعالجة الواقع، والنّأي عن الطرح المثالي في الأدب الذي أخفق في تمثيل الواقع الفعلي للحياة الإنسانية، فظهر ما عرف نقديا بالمدرسة الواقعية التي نصبت كل اهتمامها على المجتمع، الإنسان، والأخلاق، وبما أنّ الأدب العربي عامة، والمغربي خاصة يستقي تجاربه من المذاهب والمدارس الغربية الأروبية، فإنّ الرواية المغاربية (تونس،الجزائر،المغرب) بصفة عامة قد واكبت الفن الواقعي ونفذت إلى رحم المجتمع، واستلهمت قضاياه الواقعية الاجتماعية وجعلت منها تيمات فنية أدبية، ونصيب الرواية المغربية من هذا الاهتمام بارز في نتاج روائيها من أمثال الروائي"مُحَمَّد زفزاف" الذي يعد من أبرز الروائيين المغاربة الذين عايشوا الواقع وجسّدوه في إبداعاتهم، إذ قدّم رؤى عن الواقع، كما أبدع في تصويره خاصة في عمله الروائي قيد الدراسة "محاولة عيش".

إذ تكمن أهمية هذه الدراسة في كون الأدب المغربي الهامشي يحظى برؤيات عميقة ومختلفة حول الواقع، ويسعى لتقديم البدائل من أجل التّغيير، كما أنّ "مُحَمَّد زفزاف" من أبرز ممثلي هذا الإتّجاه في المغرب. ولمعرفة الأدب الواقعي وأنواعه وطبيعة الرواية الواقعية الاجتماعية في المغرب ورفع الغموض عنهما نطرح الإشكالية التالية:

- ماهي طبيعة التجريب الواقعي الاجتماعي في الرواية المغربية المعاصرة ؟ وفيم تتجلى ماهية الواقعية؟

-هل استطاع الكاتب مُحَمَّد زفزاف أن يخلق رواية فنية واقعية وفقا لبعض الخصائص التي سنتها المدرسة الواقعية؟

- ماهي الرؤية التي قدمها الكاتب في الرواية؟ وكيف كان موقفه من الواقع؟.

وللإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها فقد ارتأينا وضع خطة مكونة من: مقدمة، وفصلين، الفصل الأول فصل نظري موسوم بـ"الواقعية في الرواية المغربية المعاصرة" جاء في أربعة عناصر، أولهما مفهوم الواقعية الذي تبدى أنه مفهوم واسع فضفاض وفلسفي، وقد سعينا قدر المستطاع أن نلملم شتات التعريفات بما يخدم البحث وثانيهما خصائص الواقعية وهي خصائص ألمناها من مراجعها التي تعنى بها في محاولة للتركيز على ما يخدم البحث، أما العنصر الثالث قد ركزنا فيه على أنواع الواقعية وقد تضمن الأنواع السائدة في الواقعية والتي تختلف باختلاف مرجعياتها الفكرية الفلسفية، أمّا العنصر الرابع والأخير فقد تناولنا فيه الواقعية كتجريب فني في الرواية العربية بصفة عامة، وتمت الإشارة إلى بعض الروايات العربية الواقعية كروايات "حنا مينة" ، وكان التركيز بصفة خاصة على التجريب الواقعي في الرواية المغربية المعاصرة، وقد كان عنصرا حيويا تضمن التجريب الواقعي في المغرب، وتحليل بعض الروايات المغربية لـ"الطاهر بن جلون" و"مُحَمَّد شكري" و"مُحَمَّد زفزاف".

الفصل الثاني فصل تطبيقي جاء تحت عنوان "رواية محاولة عيش ورؤية الواقع" اشتمل على عنصرين أولهما كان بعنوان: تجليات الواقعية في رواية "محاولة عيش" لـ"مُحَمَّد زفزاف" حيث تناول محاولة الكاتب تقديم عمل واقعي يمتاز بالخصائص الواقعية، أما الثاني فقد كان بعنوان من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية حللت فيه الرواية تحليلا بنيويا تكوينيا تم فيه استخراج رؤية السارد للواقع مع التركيز على الحوارية في نص "زفزاف "كما أقرّها النّاقد "باختين" في أعماله.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج البنيوي التكويني لـ "غولدمان" والدراسات السوسيونصية "الحوارية" عند "باختين"، وهما المنهجان اللذان يخدمان البحث، لكونهما يبحثان عن الوعي والرؤية في العملية الإبداعية، فالبنيوية التكوينية هي الوعي النظري للواقعية إن صح التعبير، وقمنا بإدخال الدراسات السوسيونصية للبحث عن الأصوات الإيديولوجية في العمل الروائي، وقد يرى البعض أنّ ثمّة

خلـلا في المزاوجـة بـين المنهجـين إلاّ أنّ "الحميـداني"، قـد أوضـح أنّهـا طريقـة نقديـة لا حـرج فيهـا، وعلـى نهجـه سـارت هـذه الدراسـة، باعتبـاره ناقـدا مغربيـا طبـق رؤيتـه علـى الروايـة المغربيـة، والدراسـة تبحـث في الأدب المغربي.

ويعـود السـبب في اختيـار هـذا الموضـوع لـدافعين أولهمـا علمـي موضـوعي يتمثـل في قلـة الدراسـات عـن الأدب الهامشـي خاصـة عنـد الكـاتبين المغـربيين "مُحَمَّد زفـزاف" و"مُحَمَّد شـكري" بسـب خروجهمـا في كتاباتهمـا عـن القيـود الثقافيـة الكلاسـيكية الـتي فرضـتها السـلطة الاجتماعيـة للفـن، ورفـض كـل مـا يكسـر قيودهـا وجعلـه في خانـة الهـامش، وبهـذا نكـون قـد ألفتنـا انتبـاه أجيـال لاحقـة لتوسـيع دائـرة البحـث في الأدب الهامشـي في الـوطن العـربي عمومـا ولـيس المغـرب فقـط، وثانيهمـا شخصـي مـرتبط بالميـولات الشخصـية المحبـة للـنص الروائـي المغـربي الـواقعي ذي الطـابع الهامشـي النّـابض بحيويـة آسـرة تجعـل القـارئ مشـدودا إلى متابعـة القـراءة ومدهوشـا مـن تلـك الجـرأة في قـول المسـكوت عنـه اجتماعيـا، دينيـا وسياسـيا.ويمكـن القـول إنّ الهـدف مـن الدراسـة هـو توسـيع دائـرة البحـث المعـرفي الأدبي، وإثـراء مادتـه المعرفية، وكذا لإثراء المعارف الشخصية حول الرواية الواقعية في المغرب.

لا تخلـو دراسـة تبتغـي الجـدّة وتسـعى إلى الموضـوعية مـن مراجـع خادمـة لموضـوعها، ومصـادر داعمـة للبحـث وعليـه فقـد اعتمـدنا في هـذه الدراسـة علـى جملـة لا بأس بهـا مـن المراجـع ذات الصـلة بالموضـوع منهـا علـى سـبيل المثـال لا الحصـر جـورج لوكـاتش: دراسـات في الواقعيـة في الأدب عبـد الحميـد عقـار: الروايـة المغاربيـة وتحـولات اللغـة والخطـاب، س بيـتروف: الواقعيـة النقديـة في الأدب لوسـيان غولـدمان وآخـرون: البنيويـة التكوينيـة والنقـد الأدبي، جمـال شـحيد: في البنيويـة التكوينيـة، حميـد

الحميداني: من أجل تحليل سوسوبنائي للرواية، وهي مراجع لها صلة بموضوع بحثنا بشكل مباشر، كما اعتمدنا على مراجع أخرى ثم ذكرها في قائمة المصادر والمراجع.

وككل بحث أكاديمي فإنّ انجازه لم يكن ضمن مسار سالك وطريق معبّدة بل إنّ الصعوبات كانت حليفة له منذ البداية، بعضها له صلة مباشرة بالموضوع كتشعّب مصادر البحث وتضارب الآراء في بعض المسائل المتعلقة بالواقعية، وصعوبة تطبيق تلك المفاهيم على رواية لها بيئتها السوسيوثقافية المغايرة لبيئة إنتاج المصطلح، كما أنّ ثمة صعوبات تتعلق بالتطبيق الذي هو في نهاية المطاف محاولة تأويل النص الروائي "محاولة عيش" وفق متطلبات المنهج المختار، وإلى جانب هذه الصعوبات، فإنّ الظروف التي أحاطت بإنجازه في ظل الحجر الصحّي، والابتعاد عن المشرف، وصعوبة التواصل المباشر قد جعلت من البحث مشوبا بالنّقصان الذي لا يخلو منه عمل بشري...وحسبنا أنّنا اجتهدنا بقدر الجهد والوسع، وبمقدار القيود المنهجية والتوجيهات التي تفضل علينا الأستاذ المشرف مشكورا.

الفصل الأول: الواقعية في الرواية المغربية

1-مفهوم الواقعية.

للمفاهيم أهمية كبيرة في المجال المعرفي الإنساني بعد أن تتبلور وتغدو مصطلحات، إذ هي اللبنات والأسس الأولى للمعرفة الإنسانية، وهي مفاتيحها التي لا تدرك إلاّ بها ولاغنى عنها، فلا يمكن لأيّ علم من العلوم أن يتطور أو يفهم بدون مصطلحات، والحاجة إلى ضبطها، والتعريف بها وبمدلولاتها، والإحاطة بمضامينها ضرورة، ولطالما كانت عملية ضبط المصطلحات والمفاهيم إشكاليّة تؤرق الباحثين في ميدان العلوم الإنسانية لاختلاف الفلسفات والمرجعيات الفكرية، الإيديولوجية السياسية، والثقافية، والواقعية كغيرها من المصطلحات الإنسانية التي لازمها الإلتباسُ والغموضُ منذ ولادتها؛ وهذا لمرونتها وانفتاحها، فهي مصطلح يتسم بالتحول الدائم وعدم الاستقرار على مفهوم أو مجال محددين فـ<<الواقعية تعني أشياء مختلفة في سياقات مختلفة>>[1]، فالواقعية تختلف مفاهيمها باختلاف السياقات، ولا يمكن تحديد مفهومها دون السياقات والظروف التي ولدتها، لأنها بالضرورة حاملة لأنساقها الفكرية، الفلسفية، التاريخية، والحضارية، إنها بمثابة المرآة العاكسة لتاريخ زمانها، إذ إنّ <<الواقعية والطبيعية يجب أن تعرف في سياقها التاريخي، لقد كان المصطلحان اختزالا لظواهر ثقافية بعينها محدودة الزمان ولا يمكن فهمها إلا من خلال تلك الظواهر>>[2]، وإذا كانت الواقعية تحفل بمجموع الظواهر المختلفة في مراحل تاريخية متباينة، فإنها ترتبط بالواقع التاريخي لبيئتها، لأن الأنساق والظواهر التي تحملها الواقعية في الأساس ماهي إلا واقع أو جزء من الواقع في زمن ما، وهذا ما يأخذ إلى القول بأن الواقعية ترتبط في جوهرها العام بالواقع وتستلهمه بكل ظواهره وحمولاته الفكرية

---

[1] صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، ط1، 1980، ص22.

[2] ديمن كرانت: الواقعية، من كتاب موسوعة المصطلح النقدي، الواقعية، الرومانس، الدرامه، الدرامي، الحبكة، تر: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.ط)، (د.ت)، ص17.

السياسية، والثقافية، وبكل تناقضاته وتفاعلاته، حيث <<تكمن القوة العظيمة للواقعية في علاقاتها الدائمة والوثيقة بالواقع القائم>>[1].

يختلف الواقع ويتباين من فلسفة لأخرى، ومن زمن لآخر باختلاف التطورات الاجتماعية والتاريخية، وإذا ما عوين الواقع من وجهة نظر الفلسفات الماركسية، فإنه يكاد ينحصر في الصراع الطبقي داخل المجتمع، إذ انفلق هذا الأخير إلى طبقتين: طبقة رأسمالية حاكمة وطبقة كادحة عاملة هذه الأخيرة التي تمثل الطبقة الدنيا من المجتمع، وتشهد حياة البؤس، الشقاء، والإضطهاد الرأسمالي بالرغم من كونها البنية الأساسية التي يقوم عليها اقتصاد المجتمعات، إلا أنها مستبعدة كل البعد عن عوائد عملها مما جعلها تشعر بنوع من الاغتراب النفسي والاجتماعي على حد سواء <<اغتراب البروليتاريا عن ثمار عملها والذي ينيخ بثقله عن كاهلها كواقع غريب وقاهر>>[2]، هذا الواقع القائم على ركيزة طبقية استغلالية ولد تناقضات اجتماعية، وأبان عن هوّة عميقة داخل المجتمع، كما عمل على خلق تذبذبات فكرية، وثقافية، وأخلاقية، ومادية على مستوى البنية التحتية، فهي تعيش ركودا حضاريا لافتقارها لأدوات صناعة الفكر والحضارة، مما دفع بالماركسيين إلى محاولة بعث الوعي لصالح الطبقات الفقيرة، وتشجيعهم على الخروج من الحياة الموحلة، المكانة الاجتماعية الضنكة، والتخلف المادي والحضاري، فالتغيير ظاهرة طبيعية ممكنة لكل فرد، والإنسان بمقدوره أن يغير من حالته الاجتماعية.

والسؤال الذي طرحته الماركسية في هذا المقام هو: كيف يمكن أن نغير؟ وبم يحدث التغيير؟.

---

[1] س، بيتروف: الواقعية النقدية في الأدب، تر: يوسف شوكت، منشورات الهيئة العامة للكاتب السورية، دمشق، ط1، 2012، ص83.

[2] ليونارد جاكبسون: نزع المادية والنظرية الماركسية، تر: ثائر ديب، المركز القومي للترجمة، القاهرة،ط2004،1، ص53.

إن التغيير وفق هذه الرؤية يقتضي التحريض والثورة على صفات القبح اللاإنسانية للأنظمة الرأسمالية، ويكون التحريض عن طريق الفكر، وتبديد غيوم الوعي الطبقي، وكسر جدار العزلة الفكرية والاجتماعية على البروليتاريا، وتركها يقظة واعية أمام بؤسها المادي والنفسي بسبب شبح الرأسمالية الذي امتص دماء الفقراء، وكذا تحقيق الوحدة بين أبناء الطبقة العاملة، وتجسيد الشعور والمبدأ التلازمي بين بروليتاريا العالم، والتغيير الطبقي الاجتماعي لا يكون إلا إذا تمكنت الطبقة الدنيا من إدراك حالتها الاجتماعية، والوعي بها وهو ما يسمى بالوعي الممكن الذي يشترط أن يتبعه وعي فعلي تعمل فيه الطبقة على تغيير حالتها، ولأنّ الأدب تؤأم الفلسفة والمعرفة اللذين يقدمان فهما للواقع وإجابات عن الأسئلة الحاضرة في هذا العالم المليء بالتعقيدات والإستفهامات، فإنه يتحتّم عليه أن يكون فنا واقعيا طبقيا ملتزما بواقع البروليتاريا، أهدافها، ووعيها الطبقي، وتقديم أدب مشبّع بفلسفتها حول مصيرها لأنّ <<دور الأدب هو المساهمة في تحرير الطبقة التي في تحررها تحرر البشرية جمعاء، وهذا الأدب(المطلوب)والممكن تاريخيا لا يساهم في التحرير إلا إذا كان واقعيا>>[1].

ينحصر الأدب عند أصحاب الإيديولوجيا الماركسية في الوظيفة التحريضية الثورية التي دأبت على نشر الوعي الثوري بالواقع، وتقديم انتفاضة فنية على هذا الواقع والسعي لتغييره بالنّقد، وفضح تناقضاته، ومعاييه بالفهم الجيد للسياسات الإقتصادية المنتهجة، والبطانة الأيديولوجية المصاحبة له وإدراك القوى والظواهر المؤثرة فيه؛ أي إدراك الواقع والحياة في شكلهما الكلي الشمولي والمعقد، ولكن وفقا لشروط الإنتاج الفني؛ أي التعبير عنه تعبيرا واعيا صادقا أمينا يجافي سبل التقريرية ويعارض النقل اليومي الفوتوغرافي للأحداث <<فمن المهم جداله أن يستوعب هذا الواقع كما هو بالفعل ولا يقتصر

[1] فيصل دراج: الواقع والمثال، دار الفكر الجديد، بيروت، ط1، 1989، ص33.

على التعبير عما يبدو مباشرة، إذ يسعى الكاتب إلى استيعاب الواقع وعرضه كما هو فعلا أي أن يكون واقعيا فعلا>>[1]، حيث تعد عملية إدراك الواقع ضرورية في العمل الواقعي ولازمة له، لأن التصوير الظاهري الآلي والميكانيكي للواقع السطحي لا يمثل مادة بحثية جديدة، إنه يحصر الأدب والفن في الظاهرة دون غيرها، وهذا ما يأباه الأدب، وترفضه الواقعية التي ترى في الروائي باحثا استقصائيا يسعى للبحث والكشف عن الواقع المحبوس والمحجوب تحت الظاهر -أو كما يسميه "لوكاتش" سطح الواقع- الذي لا يمثل العلاقة الدياليكتيكية القائمة بين البنيات العميقة التي تحكم جوهر الظاهرة الاجتماعية وبين السطح، فالتناقضات الاجتماعية لا تحافظ على حدتها في ما هو يومي وبارز، والقول بالواقع الجلي في العمل الأدبي هو تخل مكشوف عن <<صياغة التناقضات الاجتماعية في شكلها الأكثر تفتحا ونقاوة>>[2]، إذا يهدف الأدب الواقعي إلى البحث عن الحقيقي، ومحاولة إبراز العلاقات الوشائج، التفككات، التشظيات، والتناقضات الاجتماعية التي من شأنها أن تولد وعيا أعمق من الوعي الذي يولده السطح، ممّا يسهم في الوعي بإمكانية التغيير، والدفاع عن الكرامة الإنسانية التي طالتها يدُ الفساد الإقتصادي والأخلاقي، لأنّ الأدب والأدب الراوئي تحديدا هو الوحيد الذي يطمح إلى إجلاء الحقيقة، وهو الأقدر على فهم العالم، وفك شفراته وتبني النزعة التغييرية، إنّه يستطيع أن يبعث الحياة من جديد، لأنّ غاية الأدب كما يقول "تودوروف": <<أنه يتيح فهما أفضل للواقع الإنساني ويحول من الداخل كينونة كل واحد من قرائه.أليس من مصلحتنا نحن تبني وجهة النظر هذه>>[3]، وفضلا عن هذا ينبغي على الأدب الواقعي أن يَصْدُر عن رؤية حول الواقع فشخصيات

---

[1] جورج لوكاتش: دراسات في الواقعية، تر: نايف بلوز، المؤسسة الحامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1985، ص124.

[2] المرجع نفسه، ص24.

[3] تيزفيتان تودوروف: الأدب في خطر، تر: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال، ط2، 1990، ص52.

العمل الروائي يجب أن تحمل رؤية معينة إزاء العالم أو الواقع، وهذه هي السمة التي ترتقي بالعمل الأدبي إلى مصاف الإبداعية، فالعمل الأدبي الذي لاتحْمل شخصياته رؤية للعالم هو عمل مضطرب وفاقد للأهمية، لأنّ نظرة العالم ترتبط ارتباطا وثيقا بالوعي الذي تمثله في أعلى مستوياته <<فالنظرة إلى العالم هي الشكل الأرقى للوعي>>[1].

وما يمكن قوله عن الواقعية أنها اتجاه أدبي يلتزم بقضايا الواقع وفلسفاته من خلال النزول إلى الهامش الاجتماعي، وأمراض الفساد الإقتصادي، والسياسي، والأخلاقي، والصراع الطبقي بين طبقات المجتمع المسحوقة وبين الطبقات المهيمنة اللاإنسانية التي تمارس الإضطهاد بجميع أشكاله –إقتصادي اجتماعي، نفسي– فمفهوم الواقعية جاء منذ البداية على أنّه <<صراع محدد بين فرد مسحوق مضطهد وفرد متسلط>>[2]، إنّ الواقعية تتجلّى حقيقة في أدب الهامش والرفض الاجتماعي، حيث يمتزج فيها أسلوب النقد مع بؤس البشر والإحساس المتشائم بالحياة، كما أنّها تتصل بالفرد المعزول اتصالا مباشرا، وتعبر عن بشاعة واقعه بديموقراطية أدبية لم يكن للأدب عهد بها، أملاً في الإصلاح والتغيير، وترتبط الواقعية بالإيديولوجيا التي تعد <<رؤية شاملة للمجتمع والعلاقات السائدة فيه>>[3]، فهي تشكل الوعي الاجتماعي، الوعي الذي التزم به النصُ الأدبي ليتحول من خطاب فني إلى خطاب فنّي إيديولوجي بعدما تمت المزاوجة بين الوعي الواقعي والنص من جهة، والرؤية التغييرية في المجتمع من جهة أخرى.

---

[1] جورج لوكاتش: دراسات في الواقعية، ص25.

[2] محي الدين صبحي: دراسات ضد الواقعية في الأدب العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر_بيروت، ط1،1980، ص14.

[3] أحمد حمدي: جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري، دار القصبة للنشر_الجزائر،(د.ط)،2001، ص29.

2-خصائص الواقعية

الواقعية كاتجاه فني أدبي ترتكز على الواقع كمادة للإبداع، وهي اتّجاه جاء كمعارضة ورفض للإتّجاهات الرومانسية والمثالية في الأدب، حيث تسعى الواقعية إلى التقاط أحداثها من واقع حياة الفقراء، والمهمشين والمظلومين، تساندهم وتعبر عن قضاياهم، وعن رفضهم لذلك الواقع، حيث تستهجنه، وتستكرهه، وتقدم أصواتا ناقدة له، تناشد وتطالب بصوت قوي من أجل تغيير الوضع القائم والتهميش القاتل، فتلجأ إلى نقد المجتمع، الواقع، والفلسفات التي تحكمهما فهي << تعمد أحيانا على النقد التهكمي والسخرية>>[1]، وإلى جانب هذا امتازت الواقعية بمجموعة من السمات يمكن الإلمام ببعضٍ منها:

2/أ -الصدق والأمانة.

لقد كان الصدقُ في تصوير الأحداث السلاحَ القوي بيد الواقعية، لأنّ موضوعاتها مأخوذة من الواقع الذي يعيش فيه القارئ ويراه، لذلك التزم كتّابُ الواقعية رصد الحقيقة في التحري عنها والعمل على النّقل الأمين في الإبداع <<إن الواقعيين الجديين يريدون بدون تحفظ أن يعكسوا الحياة الاجتماعية في زمانهم عكسا صادقا>>[2]، فلا يمكن للفنان أن يحرف الواقع ويقوم بعرض أحداث متطرفة منحازة لطرف معين، إنه مطالب بنقل الواقع نقلا صادقا، ولهذا دعا النقاد لمعايشة الواقع، فالأديب يشترط أن يكون معايشا للواقع، قريبا منه، يعرف تفاصيله، وبعدها يسعى لعرضه ونقله، فلا وجود لقطيعة بين الواقع والكاتب، كما أنه لا وجود لقطيعة بين الواقع الفعلي والنص، وقد أكد "جورج لوكاتش" وصرح

---

[1] محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية الكبرى (الكلاسيكية، البرناسية"الفن للفن"، الواقعية، الرمزية، الوجودية، الدادية،السوريالية)، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع،(د،ط)، 2007، ص125.

[2] جورج لوكاتش: دراسات في الواقعية، ص14.

أنه يجب على الكاتب أن << يعايش أولا هذا الواقع؛ واقع الأزمات والحروب إلخ، وأن يجابهه وجها لوجه ثم أن يصوغه ثانيا>>[1]، لأنّ الحديث عن واقع تراه، تعايشه يكون أصدق تعبيراً من شيء سمعت به، فاهتمام الواقعية بهذا العنصر مكّن الإنسان العادي والطبقة العامية من إعطاء ثقتها للأدب الواقعي الذي رأت فيه ملاذاً قادراً على إيصال معاناتها ومشكلاتها .

إنّ الحديث عن الواقع وعرض تفاصيله بصدق ليس بالأمر السهل، لذلك سعت الواقعية بجد وصرامة إلى إنتاج أدب يعبر عن الحياة العادية، وصادق في الوقت ذاته، أي أنّها عملت << الكثير الكثير من أجل كشف الحياة الروحية الداخلية للمجتمع والإنسان بشكل صادق وصحيح>>[2] فالسيكولوجية الداخلية للمجتمع مهمة جدا بالنسبة للكاتب الواقعي، لأنّ الحديث عن الألم والظلم والاستغلال والضعف...له أثر كبير على الفرد الذي يعيشه والكاتب الذي يكتبه والقارئ الذي يقرؤه.

إن الرواية سواء كانت تعبيرا عن الواقع، أو تفسيرا، أو نقدا له، فإنّ نقله حرفيا غير منطقي، لأن للفن في النهاية له أصوله وقوانيه الخاصة به، فغايته أن يخلق وهم وتخييل للحياة والواقع، بأسلوب الروائي ونظرته الفريدة، فيقدم صورة فنية معبرة عن واقع فعلي بطريقة متميزة تغوص في الجوهر، وتأخذ ما تراه يتماشى مع فن الرواية والأحداث.

2/ب –اللغة.

للغة أهمية كبيرة في الإبداع الأدبي، فهي الأداة التي من خلالها يقوم المبدع بإعادة صهر العواطف والتجارب الإنسانية وتحريكها في فضاء لغوي تخييلي يهدف إلى إبراز المغزى الجوهري الذي يريده الروائي

[1] جورج لوكاتش: دراسات في الواقعية، ص164.

[2] س، بيتروف، مرجع سابق، ص53.

وهذا لكونها تمتاز بالقدرة على الخلق والتخييل، وبما أن الواقعية تستقي موضوعاتها من الواقع الفعلي، فإن اللغة التي يكتب بها الأدب الواقعي تكون أقرب ما يكون إلى الواقع، إذ أن الكاتب الواقعي ينقل صورة الواقع بصوت الشعب ولغته اليومية بمختلف تغيراتها وتطورها، حيث <<يأخذ باللغة اليومية المتطورة ويبتعد عن اللغة الميتة>>[1]، فاللغة تكتسب مصطلحات جديدة في كل عصر وتتخلى عن أخرى، خاصة في العصر الحديث الذي تطورت فيه اللغة العربية البسيطة المتداولة المختلطة باللهجات واللغات الأخرى وهذا راجع لكون <<الواقعية ظهرت مع العلم الحديث في إبان نشأته واندفاعه، فأرادت أن تكون الكتابة كلها على نسق الكتابة العلمية، مجردة من الطابع الشخصي والنزعات العاطفيّة مقيّدة بالصور التي تشبه الصور الشمسية>>[2]، فتكون لغة سهلة وبسيطة في متناول القارئ العادي، لأن اللغة العلمية تكون لغة موضوعية، وفي نفس الوقت تتماشى مع مميزات العصر الحديث الذي يعد عصر العلم والتكنولوجيا والتطور، لذلك عملت الواقعية على مجاراة التقدم المجتمعي للشعوب، فلا يمكن الكتابة بلغة العصر الجاهلي أو العباسي في العصر الحديث عن موضوع يمس الشعب بالدرجة الأولى ويعبر عن ظروفه فاللغة إذن تعدُّ من المعايير المهمة في تحقيق الواقعية، لأنّها تتقاطع مع الموضوع المعبر عن الواقع الاجتماعي وعلى الكاتب الواقعي مراعاة لغة الشعب.

2/ج –الشخصيات.

الشخصية هي أساس في العمل الروائي، فلا رواية بدون شخصيات لأنها صانعة الصراع والأحداث، وفي الرواية الواقعية تتسم الشخصيّة بالبساطة المتناسبة مع الموضوع المتناول، فالواقع

---

[1] فيصل دراج، مرجع سابق، ص20.

[2] عباس محمود العقاد: دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، دار الهنداوي، القاهرة، (د.ط)، 2012، ص29.

الاجتماعي المتحدث عنه يستلزم شخصيات مستنبطة وقريبة منه حتى تكون حجة ودليلا على الصراع القائم داخل المجتمع، إذ أنّ النص الإبداعي <<يكشف الكاتب شخصيات أبطاله في ترابط وثيق مع الوسط الاجتماعي الذي رباهم وأنشأهم. وفي هذا قوة الواقعية>>[1]؛ فالمجتمع لا يوجد فيه إنسان خارق أو خيالي حتى ينتج الكاتب شخصيات كهذه، وإنّما يتناول موضوعاً واقعياً اجتماعياً بشخصيات عادية وطبيعية تتصف بنفس الصفات التي يتصف بها غالبية الناس، شخصيات تحس وتتألم، تفرح وتبكي تقوى وتضعف...لذلك عمل كتاب الواقعية على جعل شخصيات إبداعاتهم مأخوذة من واقعهم المصور حيث <<حاول بلزاك أن يجعل من رواياته مرآة تعكس كل طبائع الناس الذين يشكلون المجتمع الذي يكتب له، وعنه، في الوقت ذاته: وبما كان فيهم من عيوب، بما كان فيهم من عواطف، وبما كان في قلوبهم من أحقاد>>[2]، إن الكاتب الواقعي يكتب عن واقع معاش وفعلي يراه ويلامسه وهذا الواقع يحوي أناس بمختلف الطباع والتّصرفات، لذلك يعمل على نقلهم كما يراهم على أرض الواقع، فيكون العمل الإبداعي عبارة عن انعكاس للواقع.

ويَتوجَّب على الكاتب الواقعي معالجة الواقع بفنية من حيث إعطاء شخصيات الرواية وعاءً فكرياً ونظرة عميقة للواقع، حتى لا يكون مجرد نقل سطحي لايبحث عن العلاقة الديالتيكية التي تربط بين السطح والجوهر، وبين والظاهرة والماهية لأنّ << مقدرة الشخصيات الأدبية على التعبير عن نظرتها إلى العالم فكريا تؤلف جزءا مكونا وضروريا وهاما من الترجمة الفنية للواقع>>[3] وكأن الكاتب يصبح منفصلا عن شخصيات روايته التي تكون قادرة على معالجة قضايا الواقع الاجتماعي بنفسها.

---

[1] س، بيتروف، مرجع سابق، ص49.

[2] عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية(بحث في السرد)، عالم المعرفة،، الكويت، (د.ط)، 1998،(عدد 240 ضمن السلسلة)،ص73.

[3] جورج لوكاتش: دراسات في الواقعية، ص25.

وعلى عكس المذاهب الأدبية السابقة التي كانت تختار نماذج شخصيات جاهزة لرواياتها، فإن الواقعية عملت على وضع شخصيات إشكالية، تعيش العناء والألم والمشقة المفتقرة إلى أدنى شروط السعادة، وتكون في صراع مع المجتمع الذي تعيش فيه، إذ <<تغيرت وضعية الشخصية الأدبية من حالة النماذج الجاهزة المحنطة إلى وضعية الشخصية الإشكالية المتجذرة في عالم مأزوم يفتقر إلى اليقينيات والمعاني الإيجابية >>[1].

3-أنواع الواقعية.

كون الواقعية خطاب أدبي يهتم بفضح الواقع، ويسعى إلى تنظيم العلاقات الإنسانية والاجتماعية وتقويمهما منحها حتمية التغير وعدم الإستقرار، خاصة على المستوى التيمي الموضوعاتي المرهون برهان التقلبات والتبدلات الاجتماعية، السياسية، الفكرية، والفلسفية للمحيط الاجتماعي فالأدب يتشاكل مع البيئة التي أنشاته تشاكلا كليا، إنّه يرصد تحولات وتطورات مجتمعه، في حين تحافظ على أسلوب النقد والرفض للظواهر الاجتماعية في أغلب الأحيان، ويتضح ذلك مع تفصيل لكل نوع من أنواع الواقعية على انفراد.

أ _الواقعية النقدية:

انعكست نتائج التطورات التاريخية للمجتمع الأوروبي الذي شهد تحررا اقتصاديا ودينيا بصورة جلية على الأدب، إذ راح هذا الأخير يسجل الأوضاع الاجتماعية الأروبية المتردية، وانعدام القيم الأخلاقية، والإنسانية، بسبب الطبقات البرجوازية المستحدثة في المجتمع، فنفذ إلى رحم المجتمع بأسلوب

[1] الطيب بودربالة، السعيد جاب الله: الواقعية في الأدب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمّد خيضر بسكرة، العدد السابع، فيفري 2005، ص04.

واقعي، وبآلية موضوعية يسيطر عليها التحليل السوسيولوجي، والنفسي من خلال النفاذ إلى أوردة الحياة، ورصد التناقضات الاجتماعية بين طبقات المجتمع، وتدهور العلاقات الإنسانية التي جلفت أصولها أمام شبح المال البورجوازي، ويعد "بلزاك" أحد السباقين إلى الواقعية النقدية في الأدب الأروبي إذ سعى إلى تحليل المجتمع من زوايا مختلفة ماجعل منهج واقعيته يتسم <<بالشمولية، بالحتمية البسيكولوجية والاجتماعية والتاريخية في تصوير الإنسان والمجتمع>>[1]، إنّها ترصد علاقات التطور الاجتماعية، والأوضاع الإقتصادية كحاصل لتحول تاريخي في المجتمع، ويستند التحليل الاجتماعي والنفسي على المأزق الإقتصادي البرجوازي، فقد أدركت الرواية النقدية الإنقسام الطبقي في المجتمع والتناقضات القائمة بينها، وخاصة لما حَلَّ المال والماديات محل القيم، وتجرد المجتمع البرجوازي من المنظومة الأخلاقية، وقد أشار "ماركس" إلى ذلك عندما تحدث عن أب الواقعية النقدية "بلزاك" قائلا أنه <<قد دخل في عمق العلاقات الإقتصادية لطبقات المجتمع المعاصر>>[2]، فرواية "بلزاك" يمكن أن تكون بمثابة مدونة اقتصادية تعليمة.

في رواية "الأب جوريو" يبرز الكاتب "بلزاك" العلاقات القائمة على الإستغلال، والجشع المادي الذي حتما سيؤدي إلى انهيار المجتمع بعد انهيار المبدأ الإنساني، يمثل الأب "جوريو" أحد ضحايا البرجوازية التي أهلكت الحرث والنسل بقيمها البالية، تتنصل ابنتاه من رعايته ومسؤوليته بعدما كُلِّلَت حياتهما بالزواج من رجلين برجوازيين، يمنع الزوجان ابنتي السيد "جوريو" " أنستازي دو روستو، دو نوسنجن " من أبيهما بعد الحصول على ثروته، وتخنع البنتان لبعليهما ويعيشان على نمط الحياة البرجوازية المدججة بحياة الصخب واللّهو، وتبتعدان عن والدهما خاصة وأنهما تستحيان من الطريقة

[1] س، بيتروف، مرجع سابق، ص70.

[2] المرجع نفسه، ص72.

الـتي كسـب بهـا والـدهما ثروتـه، ينـزل الأب في فنـدق السـيدة "فوقيـه"، يعـيش حيـاة البـؤس والشـقاء، يجمـع القـدر بينـه وبـين "راسـتيناك" الطالـب القـادم مـن إحـدى القـرى الفرنسـية، يتعـرف "راسـتيناك" إلى السـيدة "دو روسـتو" ويقـيم معهـا علاقـة حـب، ويحـاول الشـاب إقنـاع البنتـين بـزيارة أبيهمـا إلا أنهمـا تمتنعـان، تزيـد حيـاة الأب بؤسـا وشـقاوة عنـدما يجـبر علـى تسـديد سـند مـالي قامـت بـه إحـدى البنتـين، تسـتمر البنتـان في طلباتهمـا علـى أبيهمـا حـتى تنهـار صـحته، ويصـاب بوعكـة صـحية في دماغـه بعـدما يعجـز عـن تسـديد مبلـغ إحـدى ابنتيـه الـتي كانـت تسـرف في نفقاتهـا البرجوازيـة، يأخـذ القـدر الأب "جوريـو" دون رحمـة حـتى في لحظـات احتضـاره تمتنـع البنتـان عـن رؤيتـه، وعلـى النقـيض نجـد البنـت "فيكتـورين" يطردهـا والـدها مـن المنـزل، يحرمهـا مـن حصـة المـيراث ليظفـر أخوهـا بكـل شـيء، لتنـزل لقيطـة بـين شـوارع باريـس وبعـدها بـين جدران بنسيون السيدة "فوقيه"[1].

إن ارتبـاط الواقعيـة ببـؤرة التـأزم في العلاقـات واسـتنطاق الإرهـاق البشـع، والإجحـاف الشـنيع وانحطـاط المنظومـات الأخلاقيـة والقـيم داخـل المجتمعـات البرجوازيـة المسـتفحلة أحـد الـدوافع الـتي جعلـت البعض يـرى بأنهـا تنبثـق مـن رؤيـة تشـاؤمية في الحيـاة، ولا تـؤمن بوجـود الأخـلاق والقـيم، وأن جـوهر الحيـاة هـو الشـر، السـبيل الـذي جعلهـا <<تمتـاز بالنزعـة التشـاؤمية في رؤيـة الحيـاة والبشـر المعاصـرين>>[2] فالإنسـان المعاصـر ذئـب بشـري يقتـات علـى لحـم أخيـه، حيـاة تتضـارب فيهـا المصـالح والجشـع، فوضـى عارمـة، وأخـلاق شـنيعة تحكـم البشـر، يكيـد الأب لابنـه والأخ لأخيـه، زوج يخـون زوجتـه، ابـن يقتـل أباه إنـه عـالم البقـاء للأقـوى، وتبقـى هـذه المقولـة مثـيرة للشـك خاصـة وأن الواقعيـة النقديـة تسـعى لتصـوير الصـراع الطبقـي البرجـوازي والواقـع بكـل أبعـاده الاجتماعيـة، الإقتصـادية، والأخلاقيـة بحيـث يبـدو أنّـه غـير

[1] ينظر: أونريه دو بلزاك: الأب جوريو، تر: مُحَّدالسنابطي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط3، 2003.

[2] الرشيد بوشعير: الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأروبية، الأمالي للنشر والطباعة التوزيع، دمشق، ط1، 1996، ص 39 .

ناشيء <<عن التشاؤم بقدر نشوئه عن الرغبة في الرصد والمعالجة>>[1]، فجوهر الواقعية هو نقل الواقع الذميم وهجاء الأوضاع والظروف الشاذة التي تعصف بالمجتمع، ومحاولة استرجاع القيم والأخلاق إلى المجتمع لأنهما أرضية التطور والحياة.

في رواية "الإخوة كرامازوف" للكاتب الروسي "فيودور دوستويفسكي" تبرز الحياة الإنسانية والأخلاقية القبيحة حينما عكس عقم العلاقات الإنسانية وإصابتها بالشلل الكلي في ضوء المالية الإقطاعية، حيث يصف دغمرية الأب "فيدور" الإقطاعي، و هو أب لثلاثة أبناء، وبالرجوع إلى طبيعة العلاقة بين الأب وأبنائه نجدها شائكة، مقفرة، وقاحلة، يتخلى الأب عن أحد أبنائه ليتربى على يد الخادم "جريجوري"، ويحتدم الصرع بين الأب وابنه "ديمتري" حينما يقعان في عشق نفس المرأة، ويستغل أحد الأبناء "إيفان" عقم العلاقة بين الأخ الأكبر وأبيه ليردي أباه قتيلاً، ويضيف الروائي إلى جانب التناقضات الاجتماعية التناقضات الأخلاقية والدينية، وتتجسد الضدية الدينية والفكرية بين الأخوين "إيليوشا" خادم الكنيسة والدين و"إيفان" الفيلسوف الملحد الذي لا يبتعد هو الآخر عن عالم الشر[2] يحيل الراوي من خلال هذه التناقضات أن العالم السفلي البشري لا ينفصل عن عالم السماء العلوي فهو القانون الوحيد الذي يمكنه تقريض الطبائع الإنسانية، إذ أن هذه الرواية <<تكاد تضم أفضل المناقشات حول ضرورة وجود إله للعالم يسترشد بها الضمير>>[3]، فالكاتب حاول معالجة الواقع من الواقع نفسه فقدم صورة الحياة اللانمطية، وحاول أن يضع يده على سبب العلة وهي شبح المال

---

[1] عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، منشورات إتحاد كتاب العرب، (د.ط)، 1999، ص108.

[2] ينظر: فيودور دوستويفسكي: الإخوة كاراماوف، الجزء الأول، تر: سامي الدروبي، المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء، ط1، 2010.

[3] محي الدين صبحي، مرجع سابق، ص44.

وانفصال حياة البشر عن السماء، فاستقاؤه للشخصيات الشريرة لم يكن فلسفيا تشاؤميا بقدر ماكان تجسيدا للواقع.

الأديب الواقعي بالرغم من اعتماده على الرصد، المعالجة، والتحليل الواقعي إلا أنه لا يقدم حلولا للواقع؛ فهو ليس <<مصلحا اجتماعيا يبحث عن إجابات أو حلول لمشاكل المجتمع>>[1]، ودوره لايتعدى الكشف عن أسباب الظواهر الواقعية، عللها، ونتائج تأثيرها في المجتمع، إنه يولد نظرة شاملة حول الواقع، ويقدمه للقارئ ليؤهله لاستقرائه وفهمه ليتمكن من ممارسة العملية الإصلاحية فيه.

تنزع الواقية النقدية نزعة موضوعية حيادية في مطابقتها للتصوير الفني للواقع، وفي رسمها وتحليلها لواقع الشخصيات، ينفذ الكاتب عبر نوافذ المجتمع لينقل الواقع، ويقدم نظرة شمولية عن أبعاده بصرف النظر عن معتقدات الكاتب، مواقفه الفكرية، الدينية، والإيديولوجية، فالكاتب عليه أن يضحي بأفكاره الإيديولوجية وتوجهاته الفكرية والسياسية من أجل العمل الفني الواقعي، إنها تؤمن إيمانا كليا <<بضرورة الإلتزام بنظرة موضوعية خالصة اتجاه الواقع>>[2]، فقلم الأديب بمثابة عدسة المصور يلتقط الظواهر الواقعية بدقة كما هي عليه دون تحريف، ولايتفانى في التقاط المحيط الخارجي بكل حيثياته من وصف الأمكنة، والشخصيات، والأشياء، والألوان، إنه يعتني بالتفصيلات، يسرف في الوصف ويستطرد بكثرة، ويعلل أصحاب هذا المذهب أن هذا راجع إلى اعتباره <<وسيلة للإيحاء بالحالة

(1) نبيل راغب : موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجان، القاهرة، ط1، 2003، ص810.

(2) نبيل راغب، مرجع سابق، ص806.

النفسية للشخصيات>>[1]، وقولهم بالإيحاء النفسي والتجيسد الآلي للواقع جعلهم يهتمون بالواقع السطحي والجلي دون النفاذ إلى بواطن الأشياء وفهم حركية الجوهر المتحكم فيها.

ولعل آخر ما يمكن الإشارة إليه في الواقعية النقدية عملها على <<رسم النماذج الإنسانية المختلفة>>[2]، سواء بنموذج مثاليّ خيّرٍ ذي طابعٍ أخلاقيٍّ إنساني من مثل "إيليوشا" في رواية "الإخوة كارامازوف" أو الأب "جوريو" الأب الحنون الإنساني المضحي لأجل ابنتيه، أو بنموذج لا إنساني ينتمي للعالم السفلي الذميم اللاأخلاقي، وهو ماتدور حوله معظم الشخصيات في رواية "الإخوة كارامازوف" التي طبع على قلبها وسمعها وبصرها الطمع، الجشع، والانغماس في ملذّات الدنيا وشهواتها، فالواقعية النقدية تفصل بين العالم المثالي العلوي والعالم السفلي الذميم فصلا كليا فلا يمكن أن يجمع العالمين في شخص واحد.

3/ب_الواقعية الطبيعية

إن ارتباط الأدب بالبيئة أيْ بالطبيعة جعله في حركية وتطور مستمرين، فالمستجدات الفلسفية الداروينية والفلسفات الوضعية لعبت دورا كبيرا في دينامية التطور الأدبي، إذ شهد الأدب في هذه المرحلة نقلة تجريبية واضحة تجاوز فيها العالم الحسي ليلتصق فيها <<المادي والملموس التصاقا مبالغا فيه>>[3]؛ فتحول الأدب من نص فني إلى مَخْبر لتحليل السيكولوجية والأهواء الإنسانية بمقتضيات فيزيولوجية طبيعية، يخضع فيها الإنسان للتحليل المادي العضوي، وأخرى بيئية اجتماعية تبحث عن

---

[1] الرشيد بوشعير، مرجع سابق، ص77.

[2] عبد الرزاق الأصفر، مرجع سابق، ص110.

[3] نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المذاهب الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 1984، ص227.

مؤثرات البيئة والمجتمع التي من شأنها أن تساهم في تشكيل النفسية البشرية، فالإنسان في جوهره العام ماهو إلا تحصيل حاصل <<لتركيبه الطبيعي العضوي من جهة، وللشروط المحيطة به من خلال حياته>>[1]، فالوجود الإنساني في العالم الطبيعي وتحديدا عند "إيميل زولا" رائد القصة التجريبية، ليس وجوداً مستقلا بذاته، ووجوده ليس عبثيا ولا مجرد صدفة، وإنما هو نتيجة لمجموعة من الظواهر الطبيعية البيولوجية، وأخرى اجتماعية مكتسبة من المحيط الأسري، والبيئة القاسية التي تنعدم فيها شروط الحياة البشرية فيكثر فيها الفقر، التشرد، الجهل، البطالة، كل هذا يساهم تدريجيا في تشكيل كتلة من الأفعال الحيوانية الغريزية في باطن الإنسان بمقدورها أن تتحكم في أهوائه وطباعه وتجعل منه <<حيوانا تسيره غرائزه>>[2]، فنظرة الأدب الطبيعي للإنسان نظرة دونية تنزل به من المستوى الإنساني إلى المستوى الحيواني الغريزي، تجرده تجريدا تاما من الإنسانية والقيم الأخلاقية، وهي رؤية تنبثق عن <<فلسفة مؤداها أن الإنسان شقي شرير>>[3]، إنه مجرم بالفطرة، فاقد للسيطرة على ذاته، وهذا مايشف عن تشاؤمية المدرسة الطبيعية في نظرتها للحياة وللبشر، فلا وجود للقيم والمثاليات في العالم الطبيعي، إنها تعارض الدين والمثل، وترى فيه رجعيةً وتخلفاً، فهو عائق للتطور البشري، وقيد للعلم والمعرفة، وقهر للشعوب، خاصة على الطبقات الفقيرة الكادحة التي كان يمارس عليها القمع الديني والسياسي، أما الطبقات النبيلة فالنظام كان حليفا لها، إنها تدين بالمذهب العلمي الطبيعي، ونظرتها للحياة والدين هي

---

[1] س، بيتروف، مرجع سابق، ص89.

[2] الرشيد بوشعير، مرجع سابق، ص69.

[3] محفوظ كحوال، مرجع سابق، ص124.

نظرة العلم وتمردها هو تمرد العلم في حد ذاته، فشعارها الأساسي <<الإخلاص الكامل للعلم الطبيعي والفلسفة المادية والوضعية>>[1]، مما جعل قلمها بمثابة المشرط يشرح فيه الإنسان تشريحا علميا.

في رواية "السكير" لـ"إميل زولا" يخضع الكاتب شخصياته لمشرط التشريح البيولوجي، يعطي شخصيات جنسية حيوانية رابضة تحت نزوة الجنس غارقة في وحله، المكان كله يعج بالجنس، فوضى عارمة، عالم دنيء <<إن المنطقة كلها تعيش في حمأة من الجنس...الرجال والنساء والأباء والأبناء والبنات يعيشون كالحيوانات ...يتمرغون في الوحل>>[2]، تكثر الأسباب والعلل وتتحد الظروف الاجتماعية القاسية، الفقر، الغلظة، البطالة، والتشرد لتكون ضد الإنسان فترمي به إلى أحضان غرائزه بصورة أكثر ليصبح الجنس هو الشاغل الوحيد للناس لاتراهم إلا وهم منكبون على وجوههم يمارسون حيوانيتهم[3].

وكما تعمل السياقات الخارجية المحيطة بالإنسان على التأثير سلبا في سيكولوجية الفرد وغرائزه فإنها تعمل في المقابل على الكبث أحيانا، والحد من جماح النفس والجذوة المتقدة فيها إلا أن الإنسان ما يفتؤ حتى يعود إلى دربه وطريقه الذي جبل عليه.

في رواية "تريز راكان" لنفس الكاتب، يسلط المجهر على الشخصية "تريز"، كانت تعيش مع عمتها "مدام ركان" في فضاء مغلق، يتخذ الإنطواء سبيله إليها وينشب أظافره حينما تزف قصرا لـ"كميل" ابن عمتها، يتغير مجرى الحياة عند "تريز راكان" وتزف إليها حياة السرور مرة أخرى بعدما

---

[1] عبد الرزاق الأصفر، مرجع سابق، ص111.

[2] إميل زولا: السكير، الهلال، مجلة شهرية لنشر القصص العالمي، القاهرة، العدد219، مارس1968، ص99.

[3] ينظر: إميل زولا: السكير، ص99.

تنتقل العائلة إلى باريس، الحدث الذي يقلب الدنيا رأسا على عقب، تتعرف تريز إلى صديق زوجها "لوران" الفنان المخادع، يحبان بعضهما، تهب نفسها له، ينساقان إلى عالم الرذيلة، وتعود "تريز" لفطرتها <<هذه المرأة التي كبتت البيئة مشاعرها، استعادت أخيرا حريتها، بل استعادت طبيعتها فتكشفت رغباتها، وسفرت حقيقتها، ومشت في الطريق الذي كتب لها>>[1]، واعتماد زولا على المادية العلمية والجينات الوراثية في التحليل النفسي للإنسان هو اعتماد مباشر على الحتمية في دراسة الواقع والإنسان، فأدب الواقعية الطبيعية يكبل حرية الإنسان وأفعاله ويقيدها بمبدأ الفطرة الحيوانية ويجعل الإنسان مجرد عبد أمام سلطان الشهوة، يفتقر إلى تحكيم العقل والمنطق، يعيش باندفاعية، فهو دائما مندفع في حالة استجابة للمثيرات العضوية، وبهذا فالطبيعية <<تنفي عن الإنسان حرية الإرادة والإختيار>>[2]، ويمكن القول أن جعل القسط الأكبر من شخصية الإنسان للغريزة فيه غلو شديد وطمس للعقل، ودوره كوسيلة تحتكم إليها النفس البشرية في أفعالها، فالعقل عند الطبيعيين مجرد صنم يذوب جليده أمام الشهوة الإنسانية، إنه تابع للحتمية الغريزية بصفة عامة، والجنسية بصفة خاصة فالجنس هو <<المحرك الأساسي العميق للسلوك>>[3]، وبالعودة إلى رواية " السكير"، فإنّ الكاتب يجعل العقل مجرد عبد أمام سلطان الأهواء، حيث تعود الشخصية "جرفيز" التي جرعت أكوابا من حنظل وعلقم جراء حيوانيتها التي دفعتها لإقامة علاقات جنسية غير شرعية مع "لانتير"، يهديها القدر طفلين، تذوق معهما أنواع العذاب، الفقر، والتشرد بعدما يهجرها "لانتير" الراكض وراء فحولته

(1) إميل فرانسوا زولا: تريز راكان، الوحش في الإنسان، تر: رحاب عكاوي، دار الحرف العربي، بيروت، ط1، 2002، ص45.

(2) نسيب نشاوي، مرجع سابق، ص227.

(3) عبد الرزاق الأصفر، مرجع سابق، ص112.

ونزواته، تلقي بنفسها في أحضانه بعد تعاقب السنين والأعوام، بل وبعد زواجها من "كوبيو"[1]. إذا فالإنسان عنصر متأثر بالظروف والحتميات وليس عنصرا مؤثرا، هذا التأثير حتما يكون ذا نتائج سلبية على حياة الفرد، تجعله عرضة للشقاء والمهالك تفني حياته بنسيج درامي محكم، في رواية "السكير" تنتهي حياة العاشقين بصورة درامية مُتْقنة، يكيد العاشقان لـ"كميل" زوج "تريز" ويلقيان به في النهر ليتمتعا بشبقيتهما دون عائق، يتحالف القدر معهما وينسج خيوط الموت حول رقبة "ميكيل" ينتشيان فرحا، يعاود القدر لعبته معهما، يدخلان في موجة من الجنون بعدما أصبحا يتنفسان شبح "كميل" يدفعهما الجنون إلى سبيل الموت، يتجرعان كوبا من السم لينهي القدر حياتهما[2].

تسير المدرسة الطبيعية في الحيادية وعدم الإنحياز إلى الفلسفات البرجوازية، فهي تُعْنَى بعرض الواقع وتحليله وفق مبادئ العلوم الحديثة، وتقود القارئ إلى موقف معين من المجتمع والأخلاق، تشف عن بُؤر الفساد، وتحرض فكره ضد الواقع دون انحيازها إلى طبقة اجتماعية أو سياسية معينة وعلى رأسها الطبقات البرجوازية المريضة، التي تمارس أنواع الشذوذ والفساد الاجتماعي والإقتصادي فالموقف <<صريح إلى جانب التقدم البرجوازي والديموقراطية ومحاربة الفساد والظلم والإنهيار الأخلاقي>>[3]. وقد نتج عن موضوعيتها التصوير الفوتوغرافي للأشياء، إنها تهتم بالتفاصيل والأشياء الخارجية دون ربطها بواقع الشخصيات، فالوصف عندها مجرد نسخ لايمثل حالة أو مصير من مصائر الشخصيات ولايقدم حالتها النفسية[4].

---

(1) ينظر: إميل زولا: السكير، ص112.

(2) ينظر: إميل فرانسوا زولا: تيريز راكان، الوحش في الإنسان، ص132.

(3) عبد الرزاق الأصفر، مرجع سابق،ص111.

(4) ينظر الرشيد بوشعير،مصدر سابق، ص77.

3/ج-الواقعية الإشتراكية.

أفـرزت التطـورات الإقتصـادية والسياسـية في أوروبا ظهـور أنظمـة اشـتراكية شـيوعية تنـاهض الرأسماليـة البرجوازيـة، وتبسـط فكـراً جديـداً يشـرب تغـيرات فكريـة وأدبيـة، حيـث صـار الأدب لصـيقا بالإسـتراتجيات الإشـتراكية القائلـة أنـه مـن الطبيعـي أن يولـد فـن جديـد يضـع الطبقـات الهامشـية في المركـز و علـى رأسـها البروليتـاريا، وهـي الـدعوة نفسـها الـتي دعـت إليهـا الماركسـية، فالواقعيـة الإشـتراكية <<حصـيلة النظـرة الماركسـية إلى الفـن و الأدب>>[1]، النظـرة الـتي ألزمـت الأدب بأهـداف الطبقـات العاملـة في التحـرر مـن غياهـب الرأسماليـة وأعبائهـا، والنضـال مـن أجـل تحقيـق الإسـتقلالية الاجتماعيـة والـتخلص مـن التبعيـة الرأسماليـة الـتي جعلـت الإنسـان عبـدا لإلـه السـلعة والمـال، وشـيأت المجتمـع بصـفة عامـة والبروليتـاريا المنتجـة بصـفة خاصـة، فعمـل الأدب في ظـل الفلسـفات الإشـتراكية علـى تصـوير العلاقـات الاجتماعيـة داخـل المجتمـع الطبقـي بـدافع التصـوير الصـادق للحيـاة، لأن الأدب الـذي يصـور الفـرد في الإطـار العـائلي ولايـؤمن بالجماعـة يفتقـر إلى الصـدق، وقـد سـعى أدب الواقعيـة الإشـتراكية إلى تجسـيد تعـاليم الأنظمـة الإشـراكية في الـنص الأدبي واعتنقهـا اعتناقـا عقائـديا، فهـي الـدين الرسمـي الـذي لا ردة فيـه ولاإلحـاد وأصـبح الأدب انعكاسـا للنظـام الإشـتراكي بعـدما غـدا صـريحا في دعوتـه إلى <<ترسـيخ المبـادئ الإشـتراكية وفي مقـدمتها البروليتـاريا>>[2]، والتـزام الأدب بالنظـريات السياسـية الإشـتراكية جعـل الـنص الأدبي عبـارة عـن خطـاب إيـديولوجي سياسـي، يجسـم إيديولوجيـة الحـزب الشـيوعي ونضـاله مـن أجل بروليتاريا العالم، فقارئ النص الواقعي يجده مكبلا يدور في نفس الفلك السياسي.

---

[1] نسيب نشاوي، مرجع سابق، ص328.

[2] نبيل راغب، مرجع سابق، ص811.

لا تخرج الأحداث في رواية "الأم" لـ"مكسيم غوركي" كاتب الواقعية الإشتراكية والمنظر لها عن الاتجاه العام للفلسفة الشيوعية، ينطلق النص السردي من وصف المأساة البروليتارية التي أثقلت كاهل عمال إحدى المصانع الروسية، يحول النص مساره بعد وفاة "مخائيل فيلاسوف" زوج السيدة "بلاجيا نيلوفنا" أحد عمال المصنع الأشقياء، يلتحق الإبن "بافل" بإحدى الجمعيات الإشتراكية السرية، فيكسر جدار الجهل الذي يخيم على عقله منطلقا في رحلة التعلم من أجل البحث عن سبب العناء، ويعمل على نشر الوعي البروليتاري داخل المصنع الذي كان يعمل فيه، ومن هنا يبدأ النضال الإشتراكي، تواجه الجماعة السرية القمع من طرف نظام العصر، إلا أنها تواصل الجهاد في سبيل مبدأ الإشتراكية، وكشف حقيقة الجوع، العناء، والألم الذي تعيشه الطبقة الكادحة[1]، فالأدب عند هؤلاء إن صح التعبير عبارة عن دعاية للنظام الإشتراكي.

تدين الواقعية الإشتراكية بـ <<النزعة التعليمية>>[2] التي تعتبرها العنصر الأساسي والمهيمن في النص تتم من خلاله عملية نشر التعاليم الإشتراكية والوعي داخل المجتمعات الرابضة تحت العنف الإقتصادي، وتتجلى النزعة التعليمية في رواية "الأم" لـ"ميكسيم غوركي" نصب عيني القارئ، فهي نزعة تتبناها معظم الشخصيات النضالية "الإبن بافل، الأم، الأوكراني، ساشنكا، ناتاشا....." التي كانت تناضل من أجل نشر الوعي الإشتراكي بين عمال المصنع والفلاحين ومحاولة الإسفار عن حقيقة الخداع والوحل الذي فرضه عليهم الرأسماليون الذين يعيشون حياة التخم المادي والإقتصادي، وكان هذا عن طريق القصاصات والخطابات التي يلقون حبالها على أعين ومسامع عمال المصنع والفلاحين

[1] ينظر: مكسيم غوركي: الأم، تر: فؤاد أيوب، المحامي سهيل أيوب، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1983.

[2] الرشيد بوشعير، مرجع سابق، ص91.

والتحريض أحيانا على مقاطعة العمل وإقامة إضرابات من أجل إيقاف الضرائب التي كانت تخصم من الراتب البخس للعمال <<أقترح أيها الرفاق أن نترك العمل حتى يتنازل عن فكرة الحسم>>[1].

يتساوى المبدأ التعليمي مع المبدأ التفاؤلي في الفن الإشتراكي، هذا الأخير الذي يبعث روح التفاؤل في حياة البشر والطبقات العاملة في التحرر وتحقيق العدل، المساواة، والديموقراطية، إنها تتطلع إلى الأمام، وتؤمن بانتصار الإرادة الشعبية التي تسير في طريق الخير وبعث حياة إنسانية جديدة يضمحل فيها الظلم، وتسودها قيم الخير والإنسانية، فهدفها <<إشاعة التفاؤل والبشر بين الطبقات العاملة والكادحة>>[2]، إنّ كاتب الواقعية الاشتراكية لا يقف موقف التشاؤم والتحليل الطبقي والإنساني البشع فقط كما وقف كاتب الواقعية الطبيعية المتشائم، والواقعية النقدية المحلل، وإنما يعمل على إضفاء موقف وصورة إيجابيين عن مستقبل البشر، وتقديم رؤية واضحة حول المستقبل المجهول وهو مبدأ إنساني يشف عن إعتناقها للإنسانية، فهي تؤمن بوحدة المصير الإنساني بين الشعوب وتؤيدها في الموقف التحرري الاجتماعي والسياسي.

تهتم المدرسة الإشتراكية بالنمذجة، وإعطاء شخصيات نموذجية تغلب عليها النزعة المثالية الخيرية التفاؤلية في معظم الأحيان، وتولي اهتماما كبيرا لرسم نموذج البطل المثالي المناضل من أجل الشعوب والجماهير، ورفع غمام الظلم على أعينهم، فهي تبرز <<النموذج البطولي في إطار التلاحم مع الجماهير>>[3]، وإن كانت التّقاليد الأدبية قد اقتضت تقديم البطل في شكله الفردي المستقل بشخصيته وذاته والصفات البسيكولوجية عن الشخصيات الأخرى، فإن النص الإشتراكي هشم صورة

---

(1) مكسيم غوركي، مرجع سابق، ص89.

(2) نبيل راغب، مرجع سابق، ص811.

(3) عبد الرزاق الأصفر، مرجع سابق، ص112.

البطل الفردي وأعطى صورة للبطولة الجماعية، فالشخوص الإشتراكية كلها بطولية لأنها تشف عن مبدأ واحد ونزعة واحدة، وتتشابك التركيبة الفكرية لكل شخصية مع الشخصيات الأخرى لا يميزها عن بعضها سوى التركيبة الفيزيولوجية الخارجية، وهذا لإيمانها بمبدء الجماعة، وهذا ما جسده رواية "الأم" لـ"غوركي" التي واجهت انتقادات لاذعة أعابت عليه النزعة الجماعية للشخصية البطولية <<إنه أخفق في رسم أبعادها النفسية والفكرية، وذلك عائد إلى أن كل الشخصيات تكاد تكون متشابهة، مادامت تصدر عن إيمانها بفكرة واحدة تحركها>>[1].

يسلك الروائي المؤمن بالواقعية الإشتراكية سبيل المباشرة والتصريح في التعبير عن الواقع والإبتعاد عن الأساليب الغامضة والمعقدة التي تلجأ إلى استعمال الرموز والتلميحات، واستخدام اللغة الكلاسيكية الرصينة لأن النّزعة الإشتراكية تتعارض مع ذلك إنها <<لا تحتمل أية تعمية أو غموض>>[2] بكونها عملاً واقعياً يهدف إلى ترسيخ المبدأ الإشتراكي، والبحث في الواقع لبروليتاري الذي يحتاج إلى لغة واضحة، وأسلوب واضح بسيط، يقدم الفكرة المراد إيصالها مباشرة دون تشفير، أو ترميز في النص.

3/د–الواقعية السحرية.

هي شكل من أشكال الواقعية ووجه حديث من وجوهها، اقترن ظهورها بآداب أمريكا اللاتينية وتحديدا مع الرواية والقصة التي جسدت عالما فنيا وفكريا يختلف عن عالم الواقع الروائي المعهود <<شاع هذا المصطلح في الثمانينات من هذا القرن بشيوع أعمال عدد من كتاب القصة

---

[1] الرشيد بوشعير، مرجع سابق، ص103.

[2] نبيل راغب، مرجع سابق، ص811.

القصيرة>>[1]، يبدو عليها طابع الشذوذ و العجائبية، إذ تخترق العالم الطبيعي الواقعي المألوف لتحط رحالها في العالم السحري العجائبي الذي يوظف كائنات وظواهر لاعقلانية خارقة تفوق إدراك العقل البشري، وتقوم الواقعية السحرية على ثنائية ضدية مجسدة في ثنائية "الواقع-الفانتازيا" يتلاحم الضدان وينسجمان ليشكلا عالما من نسيج واحد، يستند فيه الواقع على الخيال لتفسر الأحداث تفسيرا ميتافيزيقيا سحريا، يتعارض مع الفهم الفطري الطبيعي للإنسان فـ << وجود الواقعي العجائبي هو الأساس في ظهور أدب الواقعية السحرية>>[2].

بالرجوع إلى أحد رواد أدب الواقعية السحرية في كولومبيا "غابريال غارسيا ماركيز" في مؤلفه "مائة عام من العزلة" يزاوج النص بين العالمين-الواقعي والسحري- يستمد الكاتب أحداث النص من واقع القرية الأم المحتضنة لأيام وأعوام طفولته قرية "أراكاتاكا ماكوندو" التي شهدت قدوم مختلف الوفود الأروبية لممارسة التجارة وفي كل مهرجان سنوي يأتي وفد من الغجر يقوم بعروض سحرية، ينطلق النص من هذا الحدث الواقعي، حيث أحدثت هذه الوفود ضجة في القرية، فبعدما حطت رحالها هناك أصبحت تمارس عاداتها الذميمة داخل القرية من تهتّك وشرب الخمور لتنتقل عدواها إلى سكان القرية يعيش "خوسيه أوريليانو" مغامرات جنسية مع عمته ومربيته "أمارانتا"، ويتداخل العالم السحري المليء بالعجائب والخرافات وعالم الخيال ليصير أحد مكونات واقع القرية وسكانها بل يصير أحد معتقداتهم في الحياة، أطفال يبكون وهم في بطون أمهاتهم، يولدون بأعين مفتوحة، يتأملون المكان والناس يستطيعون أن يحولوا كل شيء ببصرهم، أبحر تقطع سيرا على الأرجل يروي الأب "خوسيه أركاديو بوينديا" لأحد طفليه أعجوبة هذا البحر حينما أراد أن يُعرِّفهما على خرائط العالم وشعوبه قصة

[1] ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد، المركز الثقافي العربي، الدار ابيضاء، ط3، 2002، ص347.

[2] حامد أبو حمد: في الواقعية السحرية، (د.ط)، (د.ت)، ص43.

الشعب الإفريقي المحب للسلام والتأمل وأن هناك بحر يدعى "إيجة" يمكن عبوره بالأقدام[1]، ويمكن القول أن خصوبة أدب الواقعية السحرية المشبّع بالخرافات والعالم السحري راجعة إلى طبيعة البيئة التي نشأ فيها والتي لاتفرق بين ماهو واقعي وغير واقعي، فيمتزج العالمان ليشكلا الحياة، فالقرية كانت تؤمن بالعالم الخرافي السحري والأشباح وتعتقد أنها جزء من الحياة، و"ماركيز" يعتبر الخرافات التي استلهمتها جدته من تلك المنطقة والتي كانت تقصها عليه بمثابة المنبع الذي استقى منه تجاربه الفنية[2].

إن ارتباط الواقعية السحرية بالعالم الأسطوري الخرافي هو ارتباط بالأدب الشعبي في الآن نفسه فهو من الركائز الأساسية التي قامت عليها مدرسة الواقعية السحرية، باعتباره أحد الكنوز الميثافيزيقية والأسطورية التي كان يلجأ إليها الإنسان القديم، ليفسر قلقه اتجاه الكون والظواهر الطبيعية المحيطة به ففسر الكون وفق ماتمليه عليه قدرات العقل البشري وطموحاته في ذلك الوقت، ولجأ إلى الخرافات وأساطير الميلاد والبعث، الخصب، والنماء، وجسّدها في الأعياد الدينية لكونها تحمل جانبا غيبيا يطمئن الإنسان لوجوده؛ فقد كان للأسطورة الريادة في ظهور هذا الجنس الأدبي، إذ <<لعبت الأسطورة دورا في غاية الأهمية في الأدب والفن والثقافة بعامة خلال القرن العشرين>>[3]، فمدرسة الواقعية السحرية إن صح التعبير هي محاولة لأسطرة العالم الحديث، ومحاولة لإدراكه وفهمه فهما غيبيا ميثافيزقيا خاصة للأشياء التي عجز العلم المنطقي المادي عن تفسيرها، أو هي فهم غيبي للعالم بعدما طغت النزعة المادية وألحد العالم بالغيبيات، وأمعن في علمانيته جاءت السحرية لتعيد العالم إلى روحانيته

---

[1] ينظر: غابريال غارسيا ماركيز: مائة عام من العزلة، تر: صالح علماني، دار المدى للثقافة والنشر، ط1، 2005.

[2] ينظر: حامد أبو حمد، مرجع سابق، ص52.

[3] المرجع نفسه، ص45.

<<إنها الوعي الأسطوري للعالم>>[1]، إذا كانت الأسطورة تفسر العالم تفسيرا ميثافيزيقيا وترتفع عن العالم المادي الطبيعي، فإنّ أدب الواقعية السحرية هو أحد تجليات النظرة الأسطورية للحياة في العصر الحديث.

يتعارض أدب الواقعية السحرية مع الواقعيات الأخرى في فلسفة النّظر إلى الواقع، فإذا كان منظور الواقعيات الآنفة الذكر هجائي نقدي ساخط على الزيف البورجوازي والرأسمالي، فإنّ الواقعية السحرية تنفذ إلى أعماق الأشياء والواقع بأسلوب سحري يبتعد عن الإنعكاس الواقعي بهدف اكتشاف خبايا وأسرار الأشياء، فالواقعي السحري إذاً <<لايحاول أن ينسخ كما يفعل الواقعيون وإنما يحاول أن يقنص السر الذي ينبض في الأشياء>>[2].

تتجلى النزعة البحثية الإستكشافية في نص الواقعية السحرية المدرج سابقا "مائة عام من العزلة" تمثل الشخصية "خوسيه أركاديو بوينديا" عالم المغامرة وحب الإستطلاع على جواهر الأشياء، تشع روحة بحيوية الإستكشاف يدفن نفسه لشهور في مخبره الكيميائي ليقيم تجاربه، أما ليله فيبيته عاكفا في فناء داره يرصد مسار الكواكب من أجل إقرار منهج دقيق لتحديد منتصف النهار، لينبهر بحقيقة الكون التي توصل إليها قاطعا أميالا من المشي والسعادة، ليخبرهم خليلته أن الأرض مدورة كحبة برتقال <<وأعلن لهم اكتشافه الذي توصل إليه: الأرض مدورة مثل برتقالة>>[3]، ويبقى "أركاديو" على بحث واكتشاف إلى أن يعرف سر القرية وتاريخه.

---

[1] حامد أبو حمد، مرجع سابق، ص51.

[2] فوزي سعد سعيد: الواقعية السحرية في الرواية العربية، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، (د.ت)، ص17.

[3] غابريال غارسيا ماركيز، مرجع سابق، ص348.

4_الواقعية الاجتماعية في الرواية المغربية المعاصرة.

بعد الإحاطة بالمذهب الواقعي الذي تبدى أنه غربي، وذكر أهم مذاهبه التي ارتبطت في أساسها بطبيعة المجتمع الغربي، تأخذ الدراسة طريقها نحو الواقعية الاجتماعية في الرواية المغربية المعاصرة التي تعد منصب اهتمام البحث، لكن قبل الحديث عن الواقعية الاجتماعية في الرواية المغربية وجب الحديث عن الواقعية في الرواية العربية بصفة عامة باعتبار الواقعية في الرواية المغربية جزءا من الواقعية في الرواية العربية، وإذا أراد الباحث أن يحدد ميلاد الواقعية العربية، فإن ذلك يشق عليه ويستعصي؛ وهذا لتضارب آراء النقاد، وقد رأى البعض أن ميلاد الفن الواقعي في الرواية العربية مرهون بطبيعة البيئة العربية وما شهدته من أزمات ونكبات جندت الأدب ليحمل واقعها ويوصل رسالتها، فالرواية العربية قد حملت جانبا من جوانب الفن الواقعي منذ بواكيرها الأولى، والتفت إلى بعض قضايا المجتمع العربي آنذاك، وأن بداية تبلور الواقعية كان في فترة الثلاثينات والأربعينيات التي شهدت نزولا إلى الواقع وعالجت أهم القضايا البارزة كقضية الآخر في روايات "طه حسين" و"توفيق الحكيم" والتي امتازت بنوع من التسجيلية، أو روايات "نجيب محفوظ" التي اهتمت بالطبقات الفقيرة في المجتمع المصري وطبيعة الحياة القاسية، إضافة إلى فساد الأنظمة السياسية الديكتاتورية التعسفية، وامتازت هذه الأخيرة بالتحليل ولم تقتصر على التسجيل فقط[1]، ومع موجة الحركات التحررية والإشتراكية التي شهدها العالم العربي في خمسينيات وستينيات القرن تشهد الواقعية ازدهارا كبيرا، وأصبحت منبرا للشعب والضعفاء

[1] محمد حسن عبد الله: الواقعية في الرواية العربية، مكتبة الأسرة، (د.ط)، (د.ت)، ص 204. 271.

المهمشين[1] ويعد الكاتب السوري "حنا مينة" من أبرز أعلام الواقعية في الوطن العربي، حيث جعل قلمه محرابا لمعاناة الشعب.

في روايته "المستنقع" التي تعد سيرة ذاتية للكاتب، وهي من الروايات الواقعية التي تمتاز بالطول تقع أحداثها في الحي المسمى بـ "أسكندرون" وهي المرحلة التي تعاقبت بعد الحرب العالمية الثانية وأصبحت سوريا تحت وطأة ما يعرف بالإنتداب الفرنسي، وتعرض المجتمع السوري لنكبات متوالية من استغلال فرنسي وانهيار في الإقتصاد، يخط الكاتب أنين طفولته المشبعة بالألم، والجوع الذي كان يدفعه ومعظم الشعب إلى التقاط الجراذين والحشرات من المقابر من أجل البقاء، وقتل شبح الجوعالذي يطاردهم، وكان نتيجة تناول هذه الحشرات أن أصيبوا بمرض خطير أدى إلى العزل خوفا من أن يكون المرض هو الكوليرا.[2]

أما على المستوى المغاربي الذي يعتبر قطرا واحدا يشترك في الخصائص التاريخية والثقافية، فقد واكب الروائيون المغاربة التجريب الواقعي في الرواية المغاربة، بالبنسبة للجزائر فالرواية بصورة عامة لم تتحق كجنس أدبي إلا بعد الإستقلال مع أعمال الروائي "عبد الحميد بن هدوقة" التي امتازت بالواقعية النقدية للمجتمع خاصة مجتمع مابعد الإستقلال، إذ صور في عمله الموسوم بـ"ريح الجنوب" الحالة التي آلت إليها الجزائر بعد الإستقلال، وكيف تكالب عليها أبناؤها باسم مايعرف بالشرعية الثورية ليكون

[1] ينظر: محمد بكري، الواقعية في الأدب المعاصر، موقع اللغة والثقافة العربية، 26 سبتمبر 2020، 11:43.

[2] حنا مينة: المستنقع، دار الآداب، بيروت، ط7، 2003.

ميلاد الرواية الجزائرية واقعيا، وتجنح الرواية الجزائرية نحو التجريب الواقعي الإشتراكي بعد تبني الجزائر للنظام الإشتراكي، ويتجسد في أعمال الروائي "الطاهر وطار" كرواية "اللاز"[1].

والواقعية في الرواية المغربية لا تختلف كثيرا عن واقعية الرواية العربية عموما، فالرواية المغربية اكتسبت طابعا من الواقعية منذ بواكيرها الأولى، إذ راح الكتاب يعيدون سرد واقع الإستعمار الفرنسي والنضال من أجل الحرية كرواية "سبعة أبواب" لـ"عبد الكريم غلاب"، كما تناولت بعض الأعمال الروائية ذلك التحول الحاصل في المجتمع المغربي إبان الإستعمار، وظهور الصراع بين الاجيال، وقد أطلق الناقد المغربي حميد الحمداني على هذه المرحلة اسم المصالحة مع الواقع لكون المغربي وجد ذاته في النضال سواء أكان هذا النضال ضد المستدمر، أم كان من طرف الزمر الصغيرة ضد نقابات العمل كرواية "المعلم" لـ"عبد الكريم غلاب"، وامتازت روايات هذه المرحلة بعجزها عن تحليل الواقع الاجتماعي، وفهم الظاهرة الاجتماعية المغربية، والعجز عن تطوير الواقع، لأنها تكتفي بالجري وراءه فقط. تبتعد الرواية المغربية في تصوريها للواقع عن واقع الحقبة التاريخية الإستعمارية في المغرب لتعالج طبيعة الواقع المغربي بعد الإستقلال، وتنتقد الظواهر الاجتماعية السلبية التي عرفها الواقع الاجتماعي كرواية "جيل الظمأ" لـ"مُحَمَّد عزيز لحبابي" التي أسفرت عن تكالب أبناء المثقفين الوطنيين على الوظائف، والعمل على تزييف الواقع الاجتماعي بعدما بدؤوا في أخذ الأفكار الطوباوية، وتفشي الحركة الأصولية بينهم، كما أبانت عن الفساد الإداري، إضافة إلى صراع الأجيال[2]، كما اهتمت بعض الأعمال الروائية بطبيعة المجتمع التي تقوم على التفاوت الطبقي والفوارق الاجتماعية، وأخرى

---

[1] ينظر: واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر(بحث في الأصول التاريخية للرواية الجزائرية)، المؤسسة اوطنية الوطنية للكتاب، الجزائر،(د.ط)، (د.ت)، ص.492.368

[2] ينظر: حميد الحميداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الإجتماعي (دراسة بنوية تكونية)، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985، ص107. 218.

اهتمت بالقضية العربية، والإنهزام العربي، والحلم في تحقيق الإنتصار، ويؤكد الناقد "حميد الحميداني" أن روايات هذا الجيل كانت سطحية اهتمت ببعض مظاهر الصراع الاجتماعي، ولم تستطع أن تتجاوز الظاهر لتنفذ إلى الأعماق، وتكشف عن الجوانب الأخرى التي من شأنها من تساعد في فهم حركية المجتمع[1].

تشهد الرواية المغربية طابعا تجريبيا جديدا بعدما تتحول من خطاب يهتم بالواقع المغربي الاجتماعي إلى خطاب واقعي يهتم بطبيعة بالواقع الاجتماعي المغربي في إطار مايعرف بالأنا والآخر وراح الروائيون ينتقدون الواقع الاجتماعي المغربي الذي يعاني من النقص الحضاري مقارنة مع الحضارة الغربية، وقد تمثلت فكرة الهاجس بالغرب في روايات هذه المرحلة، وأصبح الغرب بالنسبة لهؤلاء هو الفضاء الحضاري الذي يتيح سبل الحياة، وتعد رواية "المرأة والودة" للكاتب "مُحَّد زفزاف" من بين الروايات التي تناولت قضية الإنبهار بالآخر، وبحضارته، واعتباره السبيل الوحيد للتعرف على الذات فالبطل لم يستطع أن يتعرف على ذاته إلا بعدما وطأت قدماه أروبا، كما أنها الفضاء الوحيد الذي يخرج الرجال، أما المغاربة فليسوا برجال، فهم أشباه الرجال فقط[2].

أما البداية الفعلية للرواية الواقعية في المغرب –حسب الناقد "حميد الحميداني" في كتابه "الرواية المغربية ورؤية الواقع الإجتماعي"– فإنها تعود إلى سبعينيات القرن، وتحديدا مع رواية "الطيبون" للكاتب "ربيع مبارك"، والتي استخدم فيها الخصائص الواقعية الأوروبية خاصة خصائص الواقعية النقدية عند "بلزاك"، كما أشار إلى أنها أول رواية مغربية تحترم المقاييس الواقعية من زمان، مكان، وتعدد في الشخصيات، ومن الناحية التيمية، فالرواية عالجت قضايا المجتمع المغربي، وحملت هموم البرجوازية

---

[1] ينظر: حميد الحميداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الإجتماعي، ص205.

[2] ينظر: مُحَّد زفزاف: المرأة والوردة، المركز الثقافي العربي،ط1، 2007، ص10.

الصغيرة التي كانت تعاني من الضيق الاجتماعي، والإستغلال الذي كانت تمارسه الإقطاعية الفلاحية والبرجوازية التجارية[1]، ويأتي بعدها عمل الكاتب "مُحَمَّد زفزاف" "قبور في الماء" الذي استطاع من خلاله أن يقدم عملا واقعيا يتسم بنضج الوعي الإنتقادي وغير مسار الرواية الواقعية في المغرب[2].

تستمر الرواية المغربية في التجريب الواقعي، وانتقاد الواقع بأسلوب يمتاز بالوعي الإنتقادي ويهتم بشعور التناقض بين الذات والمجتمع، وبين المجتمع ونفسه، ويكشف بعمق عن التمزقات الاجتماعية، وخيانات الزمن والسلطة، ويستنطق المسكوت عنه في المجتمع، فالأدب لم يعد مجرد تحقيق لموقف أو شخصية، كما أنه لم يعد يقتصر على تصوير المشاهد الواقعية والتقاطها من أجل التصوير فحسب وإنما أصبح <<وسيلة دينامية تسهم بقدر طاقة الأديب ووظيفة الأدب في تطوير المجتمع>>[3].

رغبة التجديد التي تعتلي كاتب الواقعية الاجتماعية سمحت لهما بفتح أفق تيماتية غير معهودة، وأباحت لهما الحديث عن مقدسات المجتمع، وهامش الحياة فيه، وكشف حجب المستور والمحرمات التي لا يجوز الحديث عنها، فكسرت الطابوهات المعهودة في المجتمع العربي والمغربي، وأسفرت عن الأنظمة السياسية الشاذة والمريضة، وكشفت عن الأخلاق اللانمطية واللاشرعية، وعن الفوضويات التي تبحر بالمجتمع نحو شاطئ الدمار، ويعد "الطاهر بنجلون" أحد الأقلام النقدية في الرواية المغربية حيث نزع قناع التحفظ، والستر عن الواقع المغربي الموبوء، ففي روايته "أن ترحل" نقد للمجتمع السياسي المحموم بحمى الفساد التي انتقلت عدواها إلى الأرضية الاجتماعية،كما انتقد فكرة الهجرة نحو

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص475.451.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص522 .

[3] عبد الحميد يونس، فتحي حسن المصري: في الأدب المغربي، دار المعارف، ط1، (د.ت)، ص171.

الشمال، يسرد الراوي ذلك من خلال التركيز على شخصية البطل "عازل" (عز العرب) الذي درس الحقوق، ولم يمهله الحظ في الحصول على مقعد عمل بسبب انتشار البيروقراطيات والمحسوبيات، الأمر الذي جعل البطل يهيم بفكرة الهجرة إلى الضفة الشمالية من البحر الأبيض المتوسط من أجل الحظوة بحياة أفضل –وهنا يبرز جانب الإنبهار بالآخر الذي يمثل المركز، فكل مايتعلق به جيد حضاري يتيح سبل الحياة– يسعى "عازل" إلى ذلك بطرق غير شرعية إلا أنها تبوء بالفشل، ينسج القدر لـ "عازل" طريق الرحيل، ويعرفه على الإسباني "ميكال" الذي يدبر جواز العبور وينطلقان إلى سويا في رحلة الأحلام، يصير هاجس الغرب بعد الوصول كسراب يحسبه الظمآن ماء بعدما يجد نفسه مكبلا بأغلال شذوذية، "ميكال" الذي حبسه في قصره وجعل منه خادما في النهار، وزوجة يطأها ويستأنس بمداعبتها ليلا، ولم يكتف به لنفسه فحسب بل تعدى الأمر إلى ممارسة الجنس الجماعي عليه هو وأصحابه، مما عرضه للخصاء، وإفتقاده لرجولته وفحولته[1]. ويبدو أن سخط الروائي على الهجرة نحو أوروبا جليا في الرواية –والذي يمكن أن يعد رفضا لهذا الآخر اللاإنساني– وقد أفصح عن ذلك في إحدى اللقاءات الصحفية قائلا: "اكتشفت المهاجرين العرب كانوا يعيشون حالات بئيسة جدا لا كلام عليهم منسيين تماما من الحكومة الفرنسية"[2]، فإنه انتقد ذلك بقلمه وعبر عن مآسيهم.

أما في رواية "زواج المتعة" لـ"بن جلون" فقد عمل الكاتب على كسر العقائد والتقاليد الاجتماعية البالية والتمييز العنصري الذي يحيط بالمجتمع من خلال البطل" أمير" الذي يعمل تاجرا متنقلا بين دول إفريقيا وأثناء رحلاته يعقد زواج متعة مع إحدى الإفريقيات "نابو"، يقع في حبها ولا

(1) الطاهر بنجلون: أن ترحل، تر: بسام حجار، المركز الثقافي، الدار البضاء، ط1، 2007.

(2)الطاهر بن جلون: الروائي بن جلون لا أحتقر الحضارة العربية، قناة العربية، ضمن الموقع الإلكتروني:

http://www.youtub.com/alarabiya/08-04-2020/18:20.

يستطيع تركها في بلادها خاصة وأنها وحيدة، يضرب زلزال العنصرية هناك – في المغرب –ويرفض "نابو" ولأنها سوداء فقط تتعرض لمختلف أنواع الإهانات والسخرية، تطالبه زوجته المغربية "فاطمة" أن تكون جارية كأسلافها من الأفارقة في بلاد المغرب، إلا أن "أمير"يجعلها ملكة البيت، تزداد علاقتهما تماسكا بعدما رزقا بتوأمين أحدهما أبيض والآخر أسود ليعيش الأبيض والأسود في بيت واحد ومجتمع واحد بعدما عاشا في رحم واحد، لا فرق بين أبيض، وأسود، أعجمي، وعربي، فكلهم أبناء من الصلب الواحد "آدم"، وإنما هي آية الخالق <<**ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم**>> [1]، فـ "نابو" الإفريقية السوداء استطاعت أن تمنح الحياة لـ "أمير" في حين فشلت الزوجته الأولى البيضاء "فاطمة" المغربية في ذلك[2].

وفي أعمال "محمد شكري" نجد تصويرا للمجتمع المغربي بكل تفاصيل واقعه، حيث كتب هو الآخر بكل كيانه روحا، فكرا، وجسدا عن انسلاخات وتشققات المجتمع المغربي، ومثل حياة القاع في المجتمع، ومعاناة الفقر، الجوع، التشرد، والجهل، في روايته "الخبز الحافي" يكشف عن واقع أشد وقعا على القلب، واقع الجوع في طبقات المجتمع المغربي، الجوع الذي يدفع البطل "محمد" إلى الإحساس بالألم الشديد والمرض ووهن النفس والجسد وهزالته <<الجوع يؤلمني أمص وأمص أصابعي أتقيأ ولايخرج من فمي غير خيوط من اللعاب>>[3]، والأدهى والأمر من ذلك أنه يدفع إلى القتل أحيانا كما فعل أب "محمد" مع أحد إخوته، ويقدم الراوي أبشع صور الجوع والمجاعة عندما يقتات البطل على المزابل إذا اشتد عليه قحط بطنه <<حين يشتد علي الجوع أخرج إلى حي عين قيطوط أفتش في الزابل عن بقايا

---

(1) القرآن الكريم:سورة الروم، الآية21.

(2) الطاهر بن جلون: زواج المتعة، تر: فاضل محمد المزيودي، المركز الثقافي_الدار البيضاء،ط1، 2017.

(3) محمد شكري: الخبز الحافي، دار الساقي، (د.ط)،(د.ت)، ص9.

مايؤكل>>[1]، ويسفر كذلك عن حقيقة الجوع المعنوي الجنسي الذي يعد أحيانا فعلا تعويضيا عن المجاعة والقحط المادي، وكأن البطل يهرب لإشباع بطنه على سبيل جسد المرأة.

وكما سبقت الإشارة إلى "محمد زفزاف " آنفا فهو الآخر لايختلف قلمه عن قلمي سابقيه "الطاهر بنجلون ومحمد شكري"؛ فقد سخره في سبيل المصير الإنساني، والاجتماعي الذي تحيط به أشباح الفساد، فالتزم بالكتابة الهامشية، وحياة الطبقات التي تعيش الإسفاف والتحقير السياسي وعرى الواقع الأخلاقي والمادي الناتج عنهما، فقدمت أعماله صورة عن هشاشة الحياة الاجتماعية من خلال انتشار الفقر، والبطالة، والتشرد، والقمار، والحشيش، والجنس، وهذه الهوامش هي التيمات المفضلة التي جعلها الخطاب المغربي مدرارا للحكي، وخزانا للقول السردي كما تجلت في روايات "محمد زفزاف".

في رواية "الحي الخلفي" والذي يشير من خلال العنوان إلى أنه الهامشي الذي يختفي وراء نظيره الأمامي، إنه عالم منسي تحدث فيه جميع الأوبئة والإضطهادات، يمثل فيه عالم الحشيش الفضاء الأكبر في الحياة ليصير مكسبا للرزق، ويتوازى فضاء المومس والفحولة مع فضاء الحشيش، فالنساء يهبن أجسادهن للرجال، يذهبن إلى البارات، وهناك تختلط الأجساد، وتتعالى أصوات السكر منهن المتزوجات ومنهن غير ذلك، تتشابك العلاقات، وتكثر الخيانات الزوجية في المجتمع، أما الرجال فشاغلهم فحولتهم، إضافة إلى القمع الذي يأتي من طرف الدولة، إذ عملت على تهميش وقمع كل من وقف في وجهها، وأراد أن يغير سبل الحياة والنظام، فالمعلم الذي كان يوتوبياويا، واهتم بالهامش والكتابة عنه حرم من عمله وأصبح أحد المشردين <<وكم كنت مغفلا عندما كنت يوتوبيا لقد أردت

[1] محمد شكري، مرجع سابق، ص10.

أن أختار فطردت من العمل>>[1]، حياتهم تشبه حياة الجحيم إنهم يعيشون بين دفتي الحياة والموت فلامأوى ولا عمل.

وأهم ما ميز الخطاب الروائي في هذه المرحلة الجرأة في التعبير بخلاف الواقعيات الأخرى التي كانت تبتعد عن موضوعات الجنس، والدين، والسياسة <<لامتناع البطل عن تقحم محرمات السياسة والدين والمجتمع>>[2]؛ فبطل الواقعيات العربية لم تكن له الجرأة للحديث عن الدين باعتباره منظومة إلهية تشريعية، ولاعن الجنس لكونه يرتبط بالخطيئة والعار إذا لم يكن يحكمه ضابط شرعي معين والبطل أيضا خاضع لسلطة الدين <<الذي يدعو إلى التقشف في الممارسة الجنسية>>[3]، فقد عمل الدين منذ تشريعاته الأولى على تنظيم العلاقات الجنسية في إطار الزواج، وتهذيب الغريزة البشرية، ولأن الدين مصدر من مصادر الثقافة والتربية الأخلاقية للمجتمع فإن الكاتب يخضع قلمه للرقابة الأخلاقية والدينية التي لاتسمح له بالمساس بمقدساتها، أما السلطة السياسية باعتبارها سلطة مهيمنة فإنها تعمل على ممارسة القمع السياسي لمن يمس بها. يأتي بطل الرواية الواقعية فيهشم هذه المقدسات والسلطات الثلاث، ويضرب بها إلى عرض الحائط، ويتحدث عن الفساد السياسي، والإداري، وسقم الأنظمة القائمة،كما يتحدث عن الجنس بكل تلوناته بجرأة وإباحية، مما جعل تحرر البطل هو تحرر الكاتب الذي يريد أن يقدم صوتا نقديا وتمردا على الواقع.

بالرجوع إلى رواية "أن ترحل " لـ" الطاهر بنجلون" يخترق فيها البطل عقيدة الثالوث "الجنس الدين، السياسة"، ويحرر لسانه للحديث عن الأنظمة السياسة المهترئة من تهريب، وهجرات غير شرعية

---

[1] محمد زفزاف: الحي الخلفي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2013، ص59.

[2] محي الدين صبحي، مرجع سابق ،ص47.

[3] بوعلي ياسين: الثلوث المحرم دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي،دار الطليعة بيروت، ط2،(د.ت)، ص25.

كان يدبرها "العافية" لشباب المغرب مقابل ثمن مادي، وبعلم من السلطات دون محاسبة، يتحدث "عازل" عن الفساد العاصف بالبلاد فيقول: <<الفساد في بلدنا العزيز هو الهواء الذي نستنشقه، بلى الفساد ينضج من مسامنا، هو على وجوهنا...وهوكامن في قلوبنا>>[1]،كما أعرب عن مغامراته الجنسية المزدوجة بكل حرية، وانسيابية، وراح يسترسل في استنطاق شبقية الجسد، وتفجير شهوته التي كان لا يجوز له أن يطأ بابها، فأصبحت الرواية عبارة عن كليشيات جنسية، وإذا كانت الفطرة اقتضت الإفتنان بجسد المرأة دون غيرها، فإن "بنجلون" خرج عن الفطرة، والمألوف، وسلط الضوء على جسد الرجل الذي أصبح يمثل مركز الإفتتان من طرف الرجال والنساء على حد سواء، وهو البطل "عازل" الذي كان في البدء يحظى بإعجاب من طرف الفتيات فقط ليتحول الأمر إلى "ميكال" الذي أعجب بجماله، وقوام جسمه، وليس "ميكال" هو المعجب الوحيد بل حتى رجال الشرطة الذين اعتقلوه بتهمة التهريب ليكسر "بنجلون" ما تبقى من الطابوهات الاجتماعية –الجسد، وازدواجية الجنس- التي طالما حرمتهما الثقافة العربية على نصوصها منذ العصور الإسلامية الأولى، وتعاملت معهما كهامش، ليصبح الجسد أحد العناصر المهيمنة في النص السردي، ولم يكن استعراض "بنجلون" للجنس والجسد عن طريق البطل استعراضا شبقيا فحسب، وإنما جعل منه <<الموجه للبنيات الحكائية في النص الروائي>>[2]، فهو المتحكم في رسم الفضاء المكاني و مسار التنقل فيه من "المغرب" إلى الطرف الآخر الموازي" إسبانيا"،كما أن سلطته على حبكة النص جلية، فبفناء الجسد، وانتهاء وظيفته تضع الحبكة حدا للأحداث الروائية، ويعتبر اغتصاب الجسد من طرف الدولة وكبت صوته اغتصابا للشعب المغربي وكبتا لحرياته.

---

[1] الطاهر بنجلون، أن ترحل، ص14.

[2] فيصل غازي النعيمي: شعرية المحكي دراسات في المتخيل السردي، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع_عمان،(د.ط)،2013، ص15.

ويكاد يكون السبيل نفسه الذي سلكه "مُحَمَّد" بطل "الخبز الحافي" الذي تحرر من المرجعيات الدينية، السياسية، والأخلاقية، واسترسل في الحديث عن الجنس، فاستوقف الجسد بكل منعطفاته وراح يتأمله، يتحسسه، يتشبب في عالمه، ويسكر بخمرة الجنس، سواء مع النساء أو الغلمان، وتحرر البطل من المرجعيات بجميع أنواعها هو تحرر للروائي في حد ذاته، فـ "مُحَمَّد شكري"لم يكن يأبه بمرجعيات ومسبقات المجتمع، وإنما كان يكتب بما تمليه عليه حوافزه الداخلية <<التحرر من المسبقات كليا أيا كانت دينية أو اجتماعية أو ثقافية، التحرر من مرجعيات افعل ولا تفعل هذا>>[1]، وبالرغم من تحرر "مُحَمَّد شكري" واحتواء نصه على عنصري الجسد والجنس، وهيمنتهما على فضاء النص لم يكن عملا تخييليا منقطعا عن الواقع بقدر ماكان أحداثا جنسية واقعية عاشاها البطل خاصة وأنها عمل سير ذاتي لحياة الكاتب، والتي تحمل في خلفياتها نسقا ثقافيا حول المرأة في المجتمع، النسق الذي يوحي إيحاءا مباشرا إلى صورة المرأة كجسد، فالمجتمع أو بصورة أخص في المرأة إلا جسدا وبوقا جنسيا <<لم أعد أرى سوى جسمها. تنفتح المنامة الوردية مثل جناحي طائر يريد أن يطير ولا يطير. ينبثق بياض جسمها إلى ردفيها يدوخ رأسي بلذة انبهر>>[2]، فالمرأة ماهي إلا تيمة أو موضوع جنسي في منظور المجتمع الذكوري بخلاف الذكر الذي يمثل الذات بينما المرأة تمثل الطرف المفعول به والمفعول فيه لا يحق لها أن تفعل أو تقول، مكانتها أقل من مكانة الرجل إنها الطرف الناقص[3]، صوتها مكبوت من طرف النظير الذكوري الذي يمثل الطرف الفاعل والمفعول لأجله، لأنه يملك سلطة القضيب الذي يعد جهازا سلطويا يمنحه ممارسة السلطة، أما دور المرأة يقتصر على الدور الطبيعي من جنس ونسل.

---

(1) أدونيس:في شهادة مؤثرة مُحَمَّد يتحدانا جميعا ككتاب، ضمن الموقع الإلكتروني: كشك كوم:

(2) مُحَمَّد شكري، مرجع سابق، ص33.

(3) ألفة يوسف، وليس الذكر كالأنثى، دار التنوير، بيروت، ط1، 2014، ص 50 .

ويقدم رائد الكتابة الهامشية في الرواية المغربية "مُحَمَّد زفزاف" صورة الفضاء المغربي المتعطش للأخلاق والجنس تعطشا جعلهم في مرتبة الحيوانات، وحوش يغتصبون بكارة فتيات في الثانية عشر وهذا مايستهجنه الكاتب ويستكرهه على أبناء الوطن الذين حصروا الشجاعة والرجولة في الفحولة بينما نساؤهم وبناتهم يشتغلن في بيوت الأوروبيين، ويستمر البطل في الحديث حول الجنس الذي يعد أحد دوافع الحياة <<الإنسان لايعيش بالخبز وحده هناك أشياء أخرى في الحياة يجب أن تعرفها.....في الليل أمر إلى علب أمر بها كلها تقريبا. أراقص فتياتها أنكح الأخيرة التي تبقى بين يدي. ألا تعتقد معي أن هذه أروع حياة يتمنى المرء أن يعيشها>>[1]، ومن الظاهر أن نظرة البطل للجنس تتعالى عن الغريزة ليصير حافزا من حوافز الحياة والبقاء بخلاف الجنس عند "مُحَمَّد" بطل "الخبز الحافي" كان مجرد بحث عن الملذات، وتلبية لنداءات الغريزة، باع الحياة بكل مظاهرها لأجل شهواته << مات أخي عاشور. لم أحزن على موته.....ملذات جسمي ألهتني. أختي أرحيمو أيضا أراها تكبر وتتكلم. لكني لم أهتم بها غارقا في تشردي وهمومي>>[2].

يتحرر البطل"مُحَمَّد" في رواية "المرأة والوردة" أكثر ويكسر قيود العقل، والدين، والمجتمع، وينفذ إلى تفاصيل الجنس فتنبعث الحياة وتشرق من جديد، يتعرف إلى نفسه، العالم، والمشاعر الصادقة كأنه ولد من جديد، وتختلف نظرة للمرأة عن النظرة التي جسدها المجتمع، فيمنحها صك القدسية والجمال انطلاقا من العنوان، يزاوج بين المرأة والوردة كشيء يرمز إلى الحب، الجمال، الهدوء، السكينة، والسلام وكذا اللون الأحمر الذي كتب به العنوان، والألوان الزهرية المحيطة به تتجاوز المرأة عالم الجنس إلى عالم العطاء والحياة.

---

[1] مُحَمَّد زفزاف: المرأة والوردة، ص10.

[2] مُحَمَّد شكري، مرجع سابق، ص49.

ويبدو أن ما ميز الواقعية الاجتماعية في المغرب كونها ناتجة عن كتاب عايشوا فداحة الواقع وجرعوا مرارة الحياة، تشبعت نفوسهم بالتقزز والألم، فهي واقعية صادقة بخلاف بعض الواقعيات العربية الأخرى مجرد عالم تخييلي في ذهن أصحابها، لأنهم يعيشوا قطيعة بينهم وبين الواقع، إنها واقعية <<أفراد منقطعين من الواقع الضيق وليست واقعية علاقات>>[1]، ويكمن صدق الواقعية عند رواد الواقعية في الرواية المغربية في كونها ترتبط بالمكونات السيرذاتية للكتاب، وقد سبقت الإشارة إلى أن عمل "الخبز الحافي" لـ "مُحَمَّد شكري" عمل سيرذاتي تتبع فيه الواقع المسموم من خلال ذاته التي ذاقت ويلات هذا الواقع، واقتاتت على مزابله وفضلاته، فمن عاش لقيطا بين المزابل فلا ينتظر منه أن يكتب عن الأحلام والفراشات، أو عن العنتريات، وهو ما توجه إليه "مُحَمَّد زفزاف" الذي رسم أفق الواقع من خلال مسيرته الذاتية "محاولة عيش" التي اجتاز فيها أفق المحدود في تعريته للواقع الاجتماعي، واقع الإضطهاد السياسي المغربي، والأجنبي من طرف الجنود والسفن الأمريكية النازلة في الميناء، والذي كان سببا في الإنحلال الأخلاقي داخل المجتمع، يستمر "مُحَمَّد زفزاف" في المزاوجة بين الواقع والسيرة، ففي عمله "المرأة والوردة" التي غلفت بطابع رومنسي يشير الكاتب إلى بعض الأمراض داخل المجتمع، ويعود الكاتب في رواية "الحي الخلفي" إلى بشاعة التصوير الواقعي الذي أدمى قلبه، حشيش ومومس يتربصان بحياة الناس، ظلم سياسي، يطرد المعلم من عمله، تنهار آخر الحصون عندما يتعرض للخيانة الزوجية من طرف الزوجة، تتركه لترتبط بالمادة والمال المنعدين عنده على خلاف عامل البنك اليهودي، فالرواية المغربية في جوهرها العام ارتبطت بالسير والمواضيع الإجتماعية <<والملاحظ أن السيرة الذاتية الإجتماعية يحظيان بأهمية كبيرة في الرواية المغربية>>[2].

---

[1] محي الدين صبحي، مصدر سابق، ص18.

[2] عبد الحميد عقار: الرواية المغاربية تحولات اللغة والخطاب، المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص24.

إن المـادة الجديـدة في تشـكيل الراويـة المغربيـة لاتـتلخص في اشـتغالها علـى التيمـة الاجتماعيـة الهامشـية، وإنمـا في قـدرتها علـى المزاوجـة بـين مـاهو موضـوعي ومـا هـو فـني تقـني، فعملـت الروايـة الجديـدة علـى خـرق التقنيـات الكلاسـيكية للروايـة <<فقـد تم تكسـير الأنمـاط السـردية التقليديـة القائمـة علـى البطـل العـارف بكـل شـيء واللغـة المرصوصـة الـتي تـوزع علـى مختلـف الشـخوص بأسـلوب قصـري>>[1]، وأصـبح البطـل مثقفـا اجتماعيـا رافضـا للواقـع، يفتقـر إلى تحقيـق الـذات لوجـود قطيعـة بـين البطـل والعـالم كمـا يقـول "لوكـاتش"، فـالمحيط أو المجتمـع المـنحط يتعـارض مـع منطلقاتـه ومبادئـه تعارضـا مطلقـا، فهـو خاضـع لحتميـة المجتمـع الـذي وجـد فيـه، فـلا يمكـن لـه أن يفعـل أويـتكلم الأمـر الـذي يدفعـه إلى خـوض غمـار الواقـع معهـم وهو ما يسمى ب<<ظهور البطل الإشكالي>>[2].

بالعـودة إلى البطـل "عـازل" في روايـة "أن ترحـل" تتجسـد النزعـة الإشـكالية فيـه بصـورة جليـة، إنـه شخصـية مثقفـة، واعيـة، مدركـة للمحـيط الخـارجي، وناقمـة علـى أوضـاعه الـتي قيـدت ذاتـه، فهـو أحـد خريجـي كليـة الحقـوق، فـتح مكتبـا للمحامـاة، إلا أنـه فشـل لنزاهتـه في العمـل والقـانون، وهـذا مايتعـارض والمجتمـع الـذي يفتقـر للشـفافية والنزاهـة، همـه الوحيـد كسـب القضـية، تأكـل البطالـة حيـاة البطـل فيلجـأ إلى السـبل غـير الشـرعية للهجـرة، فيقصـد العافيـة الـذي يتكالـب عليـه، يحـاول البطـل الإسـتمرار في البحـث عـن الذات إلا أنه يفقدها كليا بعد تعرضه للإغتصاب.

أمـا بالنسـبة للشخصـيات فإنهـا غـير واعيـة تفتقـر للثقافـة، جاهلـة تفكيرهـا لم يكـن يتعـدى البيئـة الـتي وجـدت فيهـا، تسـعى لإشـباع شـهوات الـبطن، الفـرج، واللسـان، فهـي شخصـيات تكثـر النجـوى والبلبـة

[1] شاكر فريد حسن :محمد زفزاف شاعر الرواية المغربية، الأدب والفن، ص4 .

[2] عبد العالي بوطيب: الرواية المغربية الآن، محمد جوهر صفحة الثقافة، ضمن الموقع الإلكتروني ديوان العرب:
https//: www.Diwan Alarab.com/06-04-2020/12:40.

فيها نوع من الفوضى والهمجية، يمثلون حياة الجاهلية الأولى، وهي تتماهى مع الفضاء الواقعي الذي وجدت فيه، فتركيز الرواية الاجتماعية على مبدأ المعارضة والنقد أعطى للروائي أهمية في <<اختيار شخوص يتصور الكاتب أنهم يمثلون أو يمكن يعيشوا الشعور الذي يريد أن تؤديه الرواية>>[1]، وقد استطاعت شخوص الرواية الواقعية أن تمثل الشعور الذي أراده الكاتب، فاختيار الشخصيات السطحية، الساذجة، المنحطة، والأحداث الهامشية، الفوضوية، وانسجامها مع المحيط بتلك الصور المقززة ليس بهدف التصوير فقط، وإنما يخضع لحس نقدي واع <<فهم يصدرون عن وعي قوي بالإلتزام>>[2]، لذلك تعتبر الشخصيات أحد الأدوات النقدية حول الواقع إلى جانب الفضاء المكاني فالمكان في الروايات الواقعية، أو ذات الطابع الهامشي خصوصا يمثل بؤرة السرد، فإذا كان البعض يرى أن توظيف المكان الهامشي جاء نتاجا لموقف إنساني، أو تعاطفي، أو موقف اندهاش وانبهار عما هو مألوف في المركز الذي حتما سيمثله المدن[3]، فإن الموقف من توظيف الهامش في الرواية المغربية يخالف المواقف الآنفة، فالتزام الكتاب المغاربة بالهامش لم يكن للتعاطف، أوللإنسانية بقدر ماهو ناتج عن استكراه الوضع واستهجانه، وتقديم رؤية حول الواقع، والإهتمام به كفضاء يحتاج إلى المعالجة والرصد من أجل التغيير والإصلاح، خاصة وأن الرواية الواقعية الهامشية ليست مجرد تعاطف، وإنما هي تعبير عن النظرة للعالم وإيديولوجية الكاتب، ومنه فسيكون استنطاق الهامش المكاني في الرواية أداة نقدية لرفض الوضع الراهن في المجتمع، وفي حياة البؤساء المهمشين اجتماعيا ومكانيا، فانتشار أحياء الصفيح

1عبد الحميد عقار: مرجع سابق، ص 32.

(2)محمد يونس، حسن فتحي المصري، مرجع سابق، ص171.

(3)هويدا صالح: الهامش الإجتماعي في لأدب قراءة سوسيوثقافية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة،ط1،2015،ص206،205.

والبراريك في الواقع تأخذ دلالة لافتة عند توظيفها سرديا، إذ تأخذ كثافة دلالية تنقل الواقع إلى مستوى الرمز في محاولة لتعريته وكشف تناقضاته.

كما شهدت الرواية الواقعية تجريبا على مستوى الفضاء الزمني، إذ عمل الروائيون على تهشيم الزمن والخروج عن نمط الكتابة التقليدية، واعتمدوا تقنية تقنيات حديثة منها تقنية الإستذكار"فلاش باك" التي لا تعتمد على التتابع الزمني للأحداث، وإنما تقوم بتقديم حدث معين في الرواية لتعود بعدها إلى الماضي لتستذكر أحداثا ماضية[1]، أما اللغة فقد أصبحت سهلة بسيطة مستقاة من حياة الشعب اليوم، وتبتعد عن الزخم اللغوي.

[1] ينظر: جميل حمداوي: الإستهلال الروائي، ضمن الموقع الإلكتروني: مجلة ندوة للشعر المترجم :

http://www.arabicnadwah.com 18/04/2020 15:30

الفصل الثاني:

رواية محاولة عيش ورؤية الواقع

1-تجليات الواقعية في رواية "محاولة عيش"لـ "مُحَمَّد زفزف".

استطاعت الواقعية الاجتماعية أن تتجلى في عنوان الرواية، ويعتبر العنوان بوابة كل عمل أدبي فهو الاسم والهوية بالنسبة له، التي تعرف به وتميزه عن باقي الأعمال؛ فأول ما يلفت انتباه القارئ لأي عمل فني (رواية، قصة، مسرحية، أو أي كتاب في أي مجال ...) هو عنوانه لأنه يعطي نظرة ولو سطحية عن ما هو خلفه، وغالبا ما تكون كلماته إيحائية ومؤثرة، وبذلك عدت قضية اختيار العنوان أو العنونة أمر مهم جدا سواء بالنسبة للناقد أو القارئ العادي أو الكاتب نفسه، نظرا لأهميته فـ<<العنوان للكاتب كالاسم للشيء، به يعرف وبفضله يتداول ،يشار إليه، ويدل به عليه ،يحمل وسم كتابه>>[1]؛ أي أنه بمثابة شفرة أو كلمة مرور تبين طريق القارئ، لذا حرص الأدباء على اختيار عناوين لرواياتهم تجمع بين الإيجاز والتأثير والفصاحة، والإحاطة بمضمون الرواية على حد سواء و"مُحَمَّد زفزاف" كباقي الأدباء اجتهد في وضع عنوان مناسب لروايته جمع فيه بين كلمتين ("محاولة"وتعني وجود اجتهاد وتجربة في الحصول على شيء ما، و"عيش"، وهو أدنى متطلبات الحياة لحصول الإنسان على قوته) ليضع عنوانه "محاولة عيش" للتعبير على مدى صعوبة الحياة وتصوير واقع مرير يفتقر إلى أبسط الشروط والمقومات وهو العيش الذي أصبح حلم بعيد يصعب الحصول عليه.

لقد استطاع "مُحَمَّد زفزاف"في رواياته من تصوير المجتمع وحركاته، وأحداثه خاصة في روايته "محاولة عيش" التي غاص فيها إلى أعماق المجتمع، ونقله بمختلف مشكلاته الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية...ليتمكن من التعبير عن واقع مجتمعه المضطهد بصوره من جوع، أمية، خمر، ظلم

[1] مُحَمَّد فكري الجزار:العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1998، ص15 .

واستغلال...وبالتقريب بين خصائص الواقعية التي وضعها النقاد والدارسين (مذكورة سابقا) وبين أحداث الرواية سيتبيّن مدى تطابقهما، وبالتالي يمكن إسناد الرواية إلى ما يعرف بالرواية الواقعية.

إنّ أهم ما انبنت عليه الواقعية منذ بدايتها هي استلهام موضوعاتها من الواقع المعاش، الذي يمكن ملاحظته في رواية "محاولة عيش"، إذ اغترفت أحداثها من واقع فعلي، صورت مختلف مشكلاته حتى يتكمن من تكوين لوحة متكاملة عن صراع بشري في الحياة، يصعب فيها الحصول على أدنى الحقوق.

1/أ –واقعية المكان.

إنّ "زفزاف" من خلال ذكره للأمكنة يحاول أن ينقل الواقع وإيقاع الحياة، واقع الإنسان في تلك الأمكنة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالأحداث والشخصيات؛ فهي تعطي صورة تكميلية لمشكلات المجتمع الذي لازال يعيش في البيوت القصديرية <<**سكان البراريك العاطلين** >>[1]، فالكاتب بمجرد وصفه للمكان الذي يعيش فيه شخوص روايته يكوّن صورة واضحة في الذهن عن ظروفهم، وأحداث الرواية تدور في المجتمع المغربي، لكن الكاتب لم يذكر ذلك بشكل واضح إلاّ في مناسبات قليلة <<**هي أيضا من العوامرة**>>[2]، وهي منطقة تقع في المغرب الأقصى، وإضافة إلى ذلك <<**أسكن هناك في زنقة «فرانسوا دي فيون» التي تلتقي مع شارع «علي بن أبي طالب»**>>[3].

---

[1] محمّد زفزاف: محاولة عيش، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2011، ص17.

[2] المصدر نفسه، ص77.

[3] المصدر نفسه،ص77.

يحظى الحيز الجغرافي في الرواية بأهمية كبيرة، وكان بمثابة حجة ودليل للكاتب ليسقط الأحداث على واقع فعلي معاش يمكن رؤيته فعلا؛ أي أنّه حقيقة يتقاطع تقاطعا فعليا مع الواقع، فحين يقول"العوامرة" يعرف القارئ أنها منطقة ذات حدود جغرافية تقع في المغرب الأقصى، فـ"زفزاف" في الرواية لم يأت بفضاء مكاني أملته عليه طبيعة العمل الأدبي الذي يجنح إلى التخييل كثيرا، وإنّما استلهمه من الواقع الذي يعيش فيه، وهذ ما زاد من واقعية النص الروائي.

وقد كثر استعمال كلمة (بار) في الرواية << **بعد جولة في مختلف الملاهي الليلية، توقف حميد عند «وهران بار» وقام بجولة أيضا داخل البار**>>[1]، وأيضا << **كانت معركة حامية أمام ملهى** <<**صليب الجنوب**>> **بين مغربي وأمريكي**>> [2]...وهذا للربط بين الأحداث ومكان حدوثها، فكلمة (بار) تدلّ على انحلال الأخلاق، وتفشي الرذيلة في المجتمع المغربي، إذاً فالمكان والحدث متلازمين، إضافة إلى هذا قد دارت أغلب الأحداث في الشارع المغربي سواء في الحي القصديري بين البراريك، أو في الميناء بين البواخر الأجنبية، أو في الملاهي الليلية، فـ"زفزاف" من خلال ذكره للأمكنة وتفاصيلها يتجلى اتجاه الرواية الواقعي.

1/ب –واقعية الزّمن.

الزّمن الواقعي للرواية يعني احتمالية وجود أحداث وقعت في الزّمن الفعلي على أرض الواقع يكون الروائي استلهمها وأعاد صياغتها، وفي رواية "محاولة عيش" تحيلنا اللغة التي وظفها الكاتب على وجود زمن واقعي فعلي داخل النص؛ فهناك الكثير من الألفاظ التي تحمل في مدلولاتها الخلفية الواقعية

---

[1] محمّد فزاف: محاولة عيش، ص31.

[2] المصدر نفسه، ص75.

للنص، فاستعانة الكاتب بلفظة "الجنود الأمريكان" التي تترد كثيرا في النص <<**الجنود الأمريكيون بالخصوص، يدوسون كثيراً من الخادمات المغربيات**>>[1]، وكذلك <<**يتدفّق على البارات الجنود الأمريكان والملاّحون من مختلف الحنسيات**>>[2].

<< **شيئ جميل الأمريكيون يريدون أن يستعمرونا**

وقال مغربي آخر لصديقه:

–لقد استعمرونا بالفعل>>[3].

وهذا إيحاء للزمن الواقعي الفعلي المستوحى من الواقع التاريخي للمغرب بعد الإستقلال من الاحتلال الفرنسي، ووجود القاعدة الأمريكية في إطار المساعدات العسكرية والإقتصادية التي كانت تقدمها أمريكا للمغرب.

1/ج–الالتزام بالواقع.

دارت أحداث الرواية عموما حول المشكلات الاجتماعية التي غالبا ما تكون في جميع المجتمعات سواء العربية أو الغربية (كالرشوة والخمر) <<**اقترحت علي الجيفة أن تدفع له رشوة** >>[4] وهذا من أجل بناء منزل من الصفيح طلبت الزوجة من زوجها دفع رشوة للحصول عليه، وانعدام الأخلاق وممارسة الرذيلة، وكذلك الصراع من أجل الحصول على عمل ولو كان بسيطاً <<**سكان البراريك**

---

[1] محمد زفزاف: محاولة عيش، ص33.

[2] المصدر نفسه، ص32.

[3] المصدر نفسه، ص53.

[4] المصدر نفسه، ص59.

العاطلين ينقضون على الغابة مثل الجراد فلا تبقى بلوطة واحدة>>[1]...وغيرها من المشاكل التي يعاني منها أغلب السكان في العديد من المجتمعات، والتي تنبع غالبا من ضغط يولده شيء يعيشه الإنسان ويكون خارج طاقته وإرادته <<فكبار الكتاب الواقعيين كانوا يدركون تمام الإدراك إلى أي مدى كان الإنسان لعبة بين أيدي القوى الاجتماعية الاقتصادية، وكانوا في ذات الوقت على وعي بذلك الإهمال الذي كان الإنسان عرضة له سواء في مصيره أم في إرادته وحتى نواياه الأخلاقية>>[2] و"مُحَّد زفزاف" في الرواية كان على دراية بما يحدث في المجتمع، لذلك استطاع الجمع بين المشكل وسببه ونتيجته (فالمشاكل الاقتصادية والمادية التي يعيشها الفرد تؤدي بالضرورة إلى حدوث مشاكل اجتماعية وبالتالي فساد الأخلاق)، كما كان على إحاطة بأغلب قضايا المجتمع المغربي.

وردت في رواية زفزاف" العديد من الأحداث (الرشوة، السرقة، البغاء، الفقر، الجوع الاستغلال، الظلم، الإدمان...) ولا يمكن لأي شخص أن يكذّب وجود مثل هذه التصرفات والظواهر في المجتمعات العربية المسلمة فهي ماتزال تعيش جاهليتها الأولى من همجية ووحشية، فالقوي يأكل الضعيف، الرجال يعتاشون من لحم نسائهم، بطالة وصعلكة احترفت في المجتمع، وقد نقلها الكاتب كما هي دون تزييف أو تزيين.

التزم الكاتب بقضايا مجتمعه وواقعه التي كانت مرآة عاكسة لألم يتكبده أفراد لا يطالبون بشيء سوى الحصول على حياة كريمة، فالروائي الذي يصور المجتمع وينقل واقعه يشعر بمسؤولية الإلتزام بالمجتمع، والقضايا الإنسانية التي من شأنها أن تغير ظلمة العالم، وتزيل تلك السموم التي تحيط بحياة

---

[1] مُحَّد زفزاف: محاولة عيش، ص17.

[2] جورج لوكاتش: نظرية الرواية وتطورها،تر: نزيه الشوفي،حقوق الطبع والتوزيع محوظة للمترجم، 1987،ص52.

الإنسان والمجتمع، فالرواية كانت واقعية رصدت قضايا إنسانية،اجتماعية، وأخلاقية..التزم فيها "زفزاف" بوصف وسرد ما يحدث في المجتمع المغربي.

1/د –اللغة.

وهي أداة التفكير ووعاء الأفكار، فلا فن بدونها، وهي الوسيلة التي يتم بها التواصل...وتختلف مستويات اللغة من عمل أدبي لآخر، فلغة الرواية تختلف عن القصة، وتختلف عن لغة المسرحية وتختلف عن لغة الخطاب اليومي...وتعد اللغة <<العمود الفقري لبنية الرواية>>[1]؛ أي أنّ مستوى اللغة وطبيعة المصطلحات التي يوظفها الأديب تختلف من موضوع لآخر، فهناك الرواية الرومانسية، الرواية السياسية... والرواية الواقعية التي تتميز لغتها (كما ذكر سابقا) بالسهولة والوضوح، فموضوعها مستمد من الواقع المعاش القريب من الكاتب؛ أي أنّه نابع من الشعب بلغة الشعب، لذلك نجد "مُحَمَّد زفزاف" وظف الكثير من الألفاظ العامية << (**مزيان**):**بخير**،(**شنتيفة اللحم**):**قطعة صغيرة من اللحم**، (**الطرشونات**):**المناديل**، (**الرايس**):**الرئيس**، (**مزلوط**):**فقير**، (**الدوار**):**الريف**، (**البراريك**):**البيوت القصديرية**، (**الهراوات**):**العصي**، (**الشوافة**):**المرأة التي تمارس الشعوذة**...**إلخ**>>، كما استعمل العديد من الألفاظ والأساليب العامية السوقية التي غالبا ما يتم تداولها في الشارع<<**جيل قمّش لايحشم لا يرمّش**>>[2] و<<**كل يا بغل كتفاك مثل كتفي الحمل**>>[3]....

وقد استعمل "زفزاف" هذه الأساليب والألفاظ العامية لتصوير مشكلات المجتمع برؤية واقعية اجتماعية تقترب من القارئ من جهة، وتتلاءم مع موضوع روايته من جهة أخرى.

---

[1] عبد الملك مرتاض، مرجع سابق، ص114.

[2] مُحَمَّد زفزاف: محاولة عيش، ص84

[3] المصدر نفسه، ص26.

كمـــا اســـتعمل الروائـــي بعـــض الألفـــاظ المعرّبـــة << (**الويســـكي**):**الخمـــر**، (**الليمـــونادة**):**المشـــروب الغـازي**،(**بار**):**الملهـى الليلـي**،(**الجرسـون**):**الخـادم**،(**أتوماتيكيـا**):**آليـا**، (**سـندويش**):**وجبـة خفيفـة**، (**الفرنكـات**):**جمـع فرنـك وهـي عملـة فرنسـا في زمـن الاحـتلال**...>>. وهـي مصـطلحات فرنسـية أَدخلـت علـى اللغـة العربيـة لتـأثر المجتمـع المغـربي بلغـة الاحـتلال الفرنسـي والـتي أصـبحت ظـاهرة منتشـرة في دول شمـال إفريقيـا ،وتوظيـف مثـل هـذه الكلمـات يـدل علـى نقـل "زفـزاف" للواقـع بلغـة العامـة ولهجتـه دون محاولـة منـه لتغييرهـا وإشـعاراً للقارئ بمدى واقعية مايسرده.

اتّســمت لغــة روايــة "محاولــة عــيش" إذن بالوضــوح والبســاطة البعيــدة كــل البعــد عــن الزخرفــة والتعقيــد، إذ يمكــن للقــارئ بمختلــف مســتوياته فهمهــا واســتيعابها بكــل ســهولة، وهــذا راجــع لكونهــا تســتعمل لغــة الشــعب اليوميــة الــتي يســتطيع أي إنســان أن يتلقهــا وبســهولة، واجتنــاب اللغــة الرصــينة المرصـوفة، وكـذا الإبتعـاد عـن التصـنع في اللغـة، لأن الواقعيـة لا تكمـن تفاصـيلها في التقـاط الواقـع فقـط، أو في واقعية الزمان والمكان، وإنما تتعدى ذلك إلى اللغة.

1/هـ –واقعية الشخصيات.

ويعـنى بهـا إمكانيـة وجـود الشـخوص الروائيـة ضـمن الفضـاء الـواقعي الـذي اسـتلهم منـه الكاتـب عملـه التخييلـي، وعليـه فالشخصـية الواقعيـة يأنسـها القـارئ، ويألـف تصـرّفاتها ويتوقعهـا ضـمن المجـال الثقـافي المشـترك، والواقعيـة كمـا جـاء في القسـم النظـري واقعيـات، ولـيس واقعيـة واحـدة. وواقعيـة شخصـيات "محاولـة عـيش" مردّهـا إلى تماثلهـا مـع الإنسـان المغـربي في تلـك الحقبـة، كمـا أنّ واقعيتهـا تعـود بالأسـاس إلى تقاطعها مع السيرة الذّاتية للكاتب.

وقد اتّسمت شخصيات الرواية بالواقعية لأنّ الروائي اغترفها من المجتمع المغربي،بصفاتها، أفعالها وأسمائها، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

-**حميد**: وهو بطل الرواية، طفل في السادسة عشرة (16) من عمره، يعمل بائع صحف.

-**الأب**:شخصية متسلطة، لا يعمل في غالب الأحيان(يعتمد عل ابنه حميد).

-**الأم**:شخصية آمرة في العائلة.

-**غنّو**: بائعة هوى تعمل في ملهى ليلي، يلتقي بيها "حميد" وتصبح فيما بعد صديقته الحميمة.

-**فيطونة**: خطيبة "حميد" وعروسه.

2-تحليل سوسيوبنائي للرواية.

سبقت الإشارة في الفصل النظري إلى أن العمل الواقعي لايقوم في جوهره على المحاكاة الفعلية والإنعكاس الظاهري الآلي للواقع، وإنما يقوم بالأساس على الفهم الكلي الشمولي للواقع المخفي تحت السطح، فالرواية إبداع أوخطاب أدبي يناظر الواقع ولا يطابقه مطابقة فعلية، ومنه فإعادة بناء الواقع تتحكم فيها استراتيجيات معينة انطلاقا من فهم الواقع إلى اللغة التي تقدم هذا الواقع في شكله الفني الذي يرى الكاتب أنه الشكل الأقرب لتمثيل الواقع، وذلك عبر وسيط إيديولوجي يشف عن النظرة التي يحملها الكاتب إزاء الواقع، وهذا مايسميه "لوسيان غولدمان" برؤية العالم، وهي إحدى مقولات المنهج التكويني الذي جاء به "غولدمان"، المنهج الذي يستمد قاعدته الرئيسية ومنطلقاته الأساسية من الفلسفة الماركسية، فقد أخذ "غولدمان" مفاهيم منهجه "الوعي القائم و الوعي الممكن، الشمولية

التشيء" من المفهوم الماركسي للمجتمع والأدب[1]، وتعد دراسات "جورج لوكاتش" المنبع أو البؤرة التي انطلق منها "غولدمان"، إذ عمل على تطوير أبحاث أستاذه "جورج لوكاتش" ولخص غولدمان التكوينية في المقولات التالية:

2/أ-البنية الدالة.

وهي من أهم المقولات التي أخذها "غولدمان" عن أستاذه "لوكاتش" في مقولته المعروفة بالبنية الشاملة في كتابه "التاريخ و الوعي الطبقي"، ويستعمل "غولدمان" هذا المفهوم للدلالة على وحدة الأجزاء وعلاقتها الداخلية ضمن كلية، إضافة إلى كونها تعبر عن <<الإنتقال من رؤية سكونية إلى رؤية ديناميةة>>[2]؛ أي أنها تنتقل من الرؤية البنائية التي تهتم بالبنية النصية إلى رؤية دينامية تهتم بالبنية الفكرية للنص، فهي تهدف إلى اكتشاف الوحدات الداخلية المكونة للنص، وتشكُّل مجموعة من العلاقات داخل النص، فلا يمكن أن تفهم أطراف العمل الأدبي، أو يظهر تماسكه ووحدته إلا من خلال البنية التي تحكم النسق النصي الذي يمكِّن من فهم العملية الإبداعية، فالبنية الدالة إذًا هي مجموع البنى الفكرية التي من شأنها أن تساعد الباحث على فهم شمولية الظاهرة الاجتماعية التي يعبر عنها الفنان، وقد أكد "غولدمان" على ضرورة البحث عن البنية الدالة في النص وبيان وظيفتها في كلية العمل الفني، ومحاولة وضعها في بنية أكثر شمولا واتساعا، وهي البنية الذهنية الجماعية والطبقية أي الوعي الجماعي الطبقي لا الفردي.

---

[1] ينظر: جمال شحيد، في البنيوية التكوينية (دراسة في منهج لوسيان غولدمان)، دار التكوين للترجمة والتأليف والنشر، دمشق،ط1،2013، ص28، 30.

[2] بون باكسادي: البنيوية التكوينية ولوسيان غولدمان: تر محمد سبيلا، من كتاب البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط2 ، 1982،ص46.

2/ب–الفهم والتفسير.

تعد عمليتا الفهم والتفسير مفتاحا، أو مدخلا لتمكين الباحث من الوصول إلى التحليل البنيوي السليم، فمن خلالهما يستطيع الوصول إلى الوعي القائم والممكن ورؤية العالم، وهي مقولة تقوم بالأساس على التكامل والترابط بين البنية الفكرية للنص، وبين الواقع الاجتماعي، وتتمثل الأولى– عملية الفهم– في تعيين البنيات الفنية التي تنضوي على بنيات دالة، أما الثانية –عملية التفسير– فهي تفسير تلك البنى انطلاقا من الواقع الاجتماعي الخارجي.[1]

2/ج–الوعي القائم والوعي الممكن.

يشترك "غولدمان" مع أستاذه "لوكاتش" في هذا المفهوم، والذي جاء في كتاب "التاريخ والوعي الطبقي"، وقد أطلق عليه "لوكاتش" الوعي الممكن والوعي الفعلي، إلا أن "غولدمان" استقى هذا المفهوم من المنظر الماركسي "كارل ماركس" في كتابه "العائلة المقدسة"، ويشير "غولدمان" إلى صعوبة تحديد المصطلح لكونه يشمل في طبيعته شقين متلازمين هما الذات والموضوع، وبالرغم من ذلك يصيغ "غولدمان" مفهوما ذو طبيعة ازدواجية لتوضيح الصلة القائمة بينهما، ويحدد الوعي بأنه <<مظهر معين لكل سلوك بشري يستتبع تقسيم العمل>>[2]؛ فالوعي ظاهرة، أو واقعة تحمل في طياتها وعي بالموضوع وذات فاعلة عارفة، ومنه فالوعي الممكن يتمثل في معرفة الطبقة لوضعها الطبقي، أما الوعي

[1] ينظر: حميد الحميداني، من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية(رواية المعلم نموذجا)، منشورات الجامعة،(د.ط)، 1984، ص 11.

[2] لوسيان غولدمان وآخرون: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، تر: مجموعة، وراجع الترجمة، محمد سيلا، منشورات الأبحاث العربية، بيروت، ط2، 1986، ص33.

الممكن فهو مايمكن أن تقدمه هذه الطبقة بعد أن تخضع لمتغيرات مختلفة دون أن يتغير وضعها الطبقي في المجتمع[1].

2/د–رؤية العالم.

يعتبر مفهوم رؤية العالم البؤرة المركزية التي أقام عليها "غولدمان" منهجه التكويني حيث اعتنى بها كثيرا من حيث النظرية والتطبيق، وهو مفهوم تاريخي يبين المسار الذي تتجه الطبقة، وهو بالأساس يعبر عن الرؤية الجماعية للواقع، هذه الرؤية تؤثر في الفرد المبدع فيعيد صياغتها، ومن ثمة إعادتها إليهم <<لابد أن الرؤية الجماعية للعالم التي تعيشها المجموعة بشكل طبيعي ولا مباشر تؤثر في الفرد (الكاتب المبدع)، ويعيدها بدوره إلى المجموعة>>[2]، إنها الكيفية التي يُنظر بها إلى واقع معين، ويؤكد "غولدمان" على العلاقة القائمة بين رؤية العالم والوعي الممكن، فلا يمكن أن نجسد وعيا ممكننا دون وجود رؤية للعالم؛ فالوعي الممكن في الوقت نفسه تعبير عن رؤية العالم لدى هذه الطبقة[3].

إذا المنهج البنيوي التكويني يبحث في أساسه عن البنية الفنية والفكرية للنص ويولي هذه الأخيرة اهتماما بالغا، ويسعى لربطها بالبنى الاجتماعية، فكل عمل أدبي يتضمن فكر الكاتب والذي نفسه فكر الجماعة التي ينتمي إليها أو يتبنى فكرها، فما المنهج التكويني إلا تحليل سوسيولوجي للنص الروائي، ويورد الناقد المغربي "حميد الحميداني" في كتابه "من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية" أن المنهج التكويني خطوة أولى لسوسيولوجيا النص، ويمكن القول أن هذه النظرية بدأت تأخذ خطوات اكتمالها

---

[1] ينظر: جمال شحيد، مرجع سابق، ص55.

[2] المرجع نفسه، ص55.

[3] ينظر: نفسه، ص 56.

مع أبحاث الروسي "مخائيل باختين" وكذا أبحاث "بيير زيما" الذي كانت له الريادة في وضع مفهوم "سوسيولوجيا النص"، وقد ركز "مخائيل باختين" على البنى الفنية الشكلية والتحليل السوسيولوجي الذي دعا فيه إلى الإهتمام بالشخصية وتعدد الأصوات الإيديولوجية داخل النص السردي الراوئي فكل شخصية في النص الروائي-حسب منظور باختين- تحمل صوتا إيديولوجيا تعبر به عن انتمائها الإجتماعي، فالرواية عنده بمثابة زخم من الأصوات، وكل صوت مشحون بإيديولوجيا مخالفة لإيديولوجيا الآخر، هذا الإختلاف من شأنه أن يولد الصراع داخل النص. ويتساءل الناقد المغربي "حميد الحميداني" إن كانت هناك احتمالية المزواجة بين أبحاث "غولدمان" وأبحاث "باختين"، وقد أوضح أنه لا حرج في المزج بين الدراستين، لأن دراسة النص الأدبي في شكله الإيديولوجي واعتباره أرضا خصبة لحوار الإيديولوجيات دون ربطه بالنظرة إلى العالم يعيد النص إلى الدراسة السكونية،كما أنه إهمال للنص في وضعه الكلي وسياقه الفكري الذي يرتبط بالوعي ورؤية العالم المعبرين عن الصوت الإيديولوجي الذي يريده الكاتب، فكل عمل فني برغم انزياحاته إلا أنه يبث إيديولوجية يرمي إليها الكاتب، وغالبا ماتكون نفس الإيديولوجية التي ينتمي إليها، وقد أطلق "لحميداني" على هذه الثنائية التحليل السوسيوبنائي[1]، ومن هذا المنطلق الذي انطلق منه النقاد المغاربة ستجرى دراسة سوسيوبنائية للنص الروائي الموسوم بـ "محاولة عيش" للكاتب "مُحَّد زفزاف" من خلال المزاوجة بين الدراستين المذكورتين -البنيوية التكوينية، الحوارية وتعدد الأصوات- لاستخراج الأصوات الحوارية في النص، وكذا استخراج رؤية العالم الخاصة بفكر الكاتب وربطها بالبنية الفكرية الكبرى التي ينتمي إليها الكاتب أو يعبر عنها.

[1] ينظر: حميد الحميداني، من أجل تحليل سوسيوبنائي، ص19،20.

2/أ/1-البنية الدالة.

إن الإهتمام في بادئ الأمر سينصب على السارد أو الراوي والموقع الذي يقدم من خلاله المخيال السردي للنص الروائي باعتبار الراوي شخصية تخييلية تسند إليها عملية القص، وسرد الوقائع والأحداث، إضافة إلى كونه وسيلة للوعي والإدراك، والتي عبر عنها النقاد بـ "زاوية النظر" التي من خلالها يرى السارد الأحداث؛ فهو يعرضها من زاوية معينة خاصة به دون غيره لا كما تراها الشخصيات الأخرى، ولا كما يقدمها الواقع في حد ذاته، فالأدب لاينقل الواقع الخام المجرد كما يقول "تزفيتان تودوروف": <<في الأدب لا نكون أبدا إزاء حداث أو وقائع خام وإنما بإزاء أحداث تقدم لنا على نحو معين>>[1]؛ فالحادثة الواحدة تقدم من وجهات نظر مختلفة، ولكل وجهة منظور خاص، وإذا كان دور الشخوص صناعة الأحداث والأقوال التي تشكل الفضاء الروائي والعالم التخييلي، فإن الراوي يتعدى ذلك إلى عرض العالم من زاوية معينة عبر مصفاة الوعي، فالشخصيات تتحدث وتعمل وتفكر والراوي يعي ويرصد ذلك الفضاء ويقدم صوتا إيديولوجيا خاصا به، إنه يعتبر أكثر الشخصيات الروائية وعيا، ومرونة، ووظيفة، وتقوم عملية الرصد الواقعي عند الراوي من خلال ثلاثة أبعاد، الموقع المسافة، والجهة، وبالنسبة للموقع، فإنه يشمل الزاوية، أو النقطة التي يتخذها الرواي موقعا له، ويرى الواقع من خلال تلك الزاوية، واختلاف الزوايا يؤدي إلى اختلاف الرؤى، أما المسافة فترتبط بعلاقة الراوي بالفضاء الذي تجرى فيه الأحداث؛ أي المسافة بينه وبين الواقع، هل هي مسافة قريبة من الواقع أم أنها عكس ذلك؟ وكلما ابتعدت المسافة بين العالم الواقع والراوي كان العرض سطحيا لا يقوم على

[1] تزفيطان تودوروف: االشعرية، تر: شكري المبخوت، رجاء بن سلامة، توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1980، ص 51.

الرؤيـة العميقـة، وبالنسـبة للعنصـر الأخـير الجهـة فهـي الـتي يعينهـا السـارد لرصـد الأحـداث وهـي الـتي مـن خلالهـا يـتم الـراوي بالتركيـز علـى أحـداث دون أخـرى[1]، وقـد حـدد النقـاد ثـلاث زوايا يتخـذها الـراوي كموقع للرؤية:

2/أ/1/أ–الرؤيـة مـن خلـف: وفي هـذه الحالـة يتميـز الـراوي بالمعرفـة التامـة للوقـائع والأحـداث والشـخوص الروائيـة، إذ يسـتطيع الكشـف عـن الحـالات الباطنيـة النفسـية الشـعورية، وكـذا الأفكـار الذهنيـة لهـم، ومـن ثمـة فـإن معرفـة الـراوي تكـون معرفـة أكـبر مـن معرفـة الشخصـية، وغالبـا مـا يكـون الـراوي في هـذه الحالـة بضمير الغائب.

2/أ/1/ب–الـراوي يسـاوي الشخصـية الحكائيـة: وفي هـذه الحالـة تتسـاوى معرفـة الـراوي مـع معرفـة الشخصـية ولا يجـوز للـراوي أن يقـدم معلومـة أو تحلـيلا قبـل أن تكـون الشخصـية قـد وعـت بـذلك وتوصـلت إليـه بنفسـها وغالبـا مـايكون السـارد في هـذه الحالـة بضـمير الأنا، وتسـتعمل هـذه التقنيـة عـادة عند أصحاب الإتجاه الواقعي الكلاسيكي.

2/أ/1/ج–الرؤيـة مـن الخـارج: و في هـذه الحالـة تعلـم الشخصـية أكثـر ممـا يعلـم الـراوي، فـالراوي لا يقـدم سوى العالم الخارجي والمظهر الحسي للشخصية فرؤيته محدودة بما تراه العين[2].

إن أول مـايثير الإنتبـاه عنـد قـراءة الـنص الروائـي هـو أسـلوبه الـواقعي الـذي يـوحي بأن الـراوي يمتلـك ناصـية الأحـداث ويراقـب الشـخوص بعـين تتقـرى كـل شـعور أو حركـة ناتجـة عنهـا، وتصـفها بصـدق وهـذا مـا يشـير إلى أن الـراوي يتخـذ موقـع الرؤيـة مـن الخلـف، فـالراوي يبـدو عارفـا بالعـالم الـواقعي معرفـة

[1] ينظر: عبد الرحيم الكردي، الراوي والنص القصصي، دار النشر للجامعات، ط1، 1996، ص 20، 18 .

[2] ينظر: حميد الحميداني: بنية النص السردي، المركز العربي الثقافي للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991، ص47،48.

تامة، وهي المعرفة التي تتعلق بتفاصيل الأحداث والشخوص، إنه ينفذ إلى العالم الذهني والبسيكولوجي للشخصية وينقل شعورها، ويمكن أن يظهر هذا التعالق المعرفي بين العالمين الباطني الشعوري والخارجي عند السارد في هيمنته الشديدة على زمام سرد الأحداث وتفاصيلها، وتدخله المباشر في السرد، إذ يستهل الراوي سرده للأحداث بتقديم وصف للمكان <<**وقف يراقبهم من بعيد، يتأمل حركاتهم كيف يتدافعون بالأذرع. بعض الأذرع تتدافع و البعض الآخر يتأبط حزمة من الصحف التي أعرض عنها القراء سقطت بعض الصحف حول الخمرة المراقة مثل دم متخر ...جمعها صاحبها وتزاحم مع الإثنين الآخرين حول الأنبوب الذي يصب في الباخرة.**>>[1]، وفي هذا المشهد السردي تتجلى المعرفة الظاهرية الخارجية عند الراوي فهو على اطلاع بالمحيط الخارجي وعلى معرفة تامة به، وفي نفس المشهد الإستهلالي في الرواية يدلي ببعض المعلومات الذهنية، والحالات الشعورية التي تعتلي شخصية البطل "حميد" من فرح حزن، وبؤس <<**كانت الباخرة فرنسية استطاع حميد أن يقرأ اسمها: آيفون 5 إنه يعرفها جيدا...عندما ترسو "آيفون 5" فإن حميد يتغير نهائيا تتلبسه حالات من الفرح العارم، وعندما ترحل ترحل عنه تلك الحالات، يعود إلى بؤسة الحقيقي لم يكن يعرف للرجل اسما إلا أنه سنغالي أسود، الوحيد الذي لا يشرب في الباخرة ولا يأكل لحم الخنزير**>>[2]، فالسارد هنا يمثل تبئير الصفر؛ أي لا تبئير فمعلوماته لا تخضع لعملية التقليص، فهي غير محدودة تتعدى إلى المستوى الذهني للشخصيات، إنه يعلم أكثر مما تعلم الشخصية عن نفسها، فهو ناقل لكلامها، أحوالها، وواع بحالاتها، يقوم الراوي بتقديم معلومات عن البطل "حميد"، ويكشف عن شعور الحيرة الذي يعتليه إزاء الواقع المهترئ، والممزق الذي يحيط به، عائلة فقيرة، مجتمع مشرد، مجزأ، ومتشظي، وقيم متدنية، بطالة تحوم في كل مكان، وجوع يقتات على أجساد هؤلاء، ماجعل البطل

2 محمد زفزاف: محاولة عيش، ص5.

[2] المصدر نفسه، ص5.

حميد عاجزا، وحائرا أمام هذا العالم المعقد الذي أصبح غارقا في أبحر ظلامه ولايعرف أي سبيل سيتخذ، وماذا سيفعل بنفسه << **أما حميد فلم يكن يعرف ماذا يفعل بنفسه**>>[1]، ويمكن القول أن اتخاذ الراوي لموقع الرؤية من خلف له علاقة بالرؤية التي سيقدمها حول الواقع، والتي ستأتي في الخطوات اللاحقة من الدراسة.

يتداخل الأسلوب المباشر الحر-الحوار- أحيانا مع الأسلوب التقريري الذي يعتمده الراوي فالحوار يتخلل السرد من مقطع لآخر، ويعود هذا التنازل من طرف الراوي إلى إيهام القارئ بصدق الأحداث التي يرويها، فالعمل الأدبي يقوم بالدرجة الأولى على الوهم الفني الممثل في علاقة السارد بالجمهور المتلقي للنص الأدبي، ويعد الحوار وسيلة تسمح <<بتقوية أو إضعاف أو كشف التعاطف بين الشخصيات>>[2]، إذًا فالحوار له دور في عملية الوهم الفني، وهو الوسيلة الأكثر فعالية لجعل القارئ يعتقد بأن الأحداث المحكية قد وقعت في الفضاء الواقعي من زمان، مكان، وشخوص، فالراوي يجعل من هذا الأسلوب مصداقية لحكيه وكسب صفة الصدق، كما أن توظيفه في النص يعد بمثابة خلق تحاور واحتكاك بين الأصوات الإيديولوجية التي تمثلها الشخصيات الموجودة <<**قال الأمريكي**:

-هل تعجبك هذه الفرنسية؟

قال حميد:

-لا

-لماذا؟ ألا ترى أنها جميلة؟

---

[1] محمد زفزاف: محاولة عيش، ص18.

[2] لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار، بيروت، ط1، 2002، ص82.

-إنها أكبر من أمي.

قال الأمريكي:

-ماذا تقول في، هل أنا نصراني أم مسلم.

-أنت أمريكي. كل الأمريكيين نصارى.>>[1].

إن اعتماد الراوي على تقنية الظهور الكلي في السرد يمنع من تحاور الإيديولوجيات في النص لأن الراوي في هذه الحالة يحتكر سلطة الظهور في النص، ولا يسمح للشخصيات الأخرى بالظهور وهذا ما يدفع إلى انعدام الحوار من طرف الشخصيات، وانعدام الحوار انعدام لتعدد الأصوات الإيديولوجية وانعدام للصراع الإيديولوجي، ولجوء السارد لتقنية الحوار في النص لم يسلبه التحكم في زمام السرد فتنازله عن السرد <<تنازل مظهري>>[2]، ويظهر ذلك من خلال الترابط والتعالق الدائم بين الحوار والسرد؛ إذ كثيرا ما يأتي الحوار ليؤكد المشاهد السردية التي أراد الراوي الإفصاح عنها، فالسرد يقوم بتقديم المشاهد ويأتي الحوار لتأكيدها، وفي المقطع التالي من الرواية يؤكد الراوي إحدى المشاهد السردية <<**ومشى نحو سلم الباخرة الذي يمد قائمتيه فوق الرصيف، صعد فوق الدرجات الأولى فسمع صوتا من فوق يأمره أن ينزل.كان صوت حارس الباخرة. إنه أحد الحرس الشرسين.**

-أنت هناك. انزل. إلى أين أنت صاعد؟

سأبيع الصحف>>[3].

---

[1] محمد زفزاف: محاولة عيش، ص36، 37.

[2] حميد الحميداني: من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية، ص33.

[3] محمد زفزاف: محاولة عيش، ص6.

إن تشابك الحوار مع السرد في المقطع السردي هو أحد الحيل التي استعان بها السارد ليوهم القارئ بوقوع الحدث وواقعيته، لكن إلى أي مدى يحقق الحوار مصداقية وقوع الحدث؟.

إن ارتباط الحوار بالسرد وكونه مكونا تابعا له يجعل من درجة الإيهام أكثر ضعفا، وليس أكثر قوة وصدقا، لأنه لا يعمل على خلق حوافز جديدة في العمل الروائي[1]، وتقاطع الحوار مع السرد داخل النص السردي "محاولة عيش" لايكمن في كونه تابعا للسرد ومؤكدا له فقط، وإنما يأخذ أحيانا مكانة السرد، ويساهم في صناعة الأحداث <<**ضحك الأمريكي وضرب المرأة من الخلف. صرخت المرأة دون أن تلتفت إليه: أي، دعني ألعب، سأربح هذه الدورة، كم ستدفع إذا هزمت أيها السكير؟**.

–قال الرجل: سأدفع لك حياتي.

التفت إلى حميد وهو يتمتم:

–وحياة هذا العربي الصغير>>[2] يبدو جليا أن الحوار بين الشخصيات هنا لم يكن تأكيدا لمشهد سردي بقدر ماكان حافزا لخلق حدث في الرواية، وهو حدث السخرية من العربي الذي سيقدم فدية لنزواتهم الليلية العابرة، فعندما يكون موقع العربي ينحصر في كونه مجرد سبية، أو رهينة لعلاقة سافرة، ولعبة ساقطة كلعبة القمار، فالسخرية منه جلية، كما أنها قوية في بلاغتها وفي عمقها، فالمكان الذي دار فيه الحوار بين الشخصيتين الأجنبيتين هو "البار" الذي يمثل أدنس فضاء تحدث فيه الموبقات بأنواعها هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالعلاقة بين المرأة والرجل في ذلك الحوار الناشئ بينهما هي علاقة غير شرعية أي أنها ليست مقدسة، وكل ماهو غير مقدس وشرعي فهو منحط، ومترد، وبإسقاط هذا كله

[1] حميد الحميداني: من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية، ص34.

[2] محمد زفزاف: محاولة عيش، ص36.

على العربي يتبدى أنه مخلوق مدنس، منحط، غير متحضر، وأقل مكانة من الآخر الذي يمثل المركز فالأفضلية، السلطة، السيادة، والقانون له، وهذا ما أبان عن الهوة الكبيرة بين الذات –المغربية خصوصا، والعربية عموما –والآخر، وعن الصورة التي يصدرها عن العربي الذي خرج من قلب البداوة الصحراء، والتخلف.

وللحوار الحر المنفصل عن المشاهد السردية دور بارز في خلق الحوافز والأحداث الروائية خاصة في آخرها الذي شهد تحولا في الأحداث بصورة غير متوقعة <<**كانا يدفعان علي. كل الناس يدفعون علي. لكنهما في الأخير تشاجرا، كل واحد أرادني لنفسه. لا أستطيع أن أقسم جسمي شطرين ما أنا إلا ولية ضعيفة.**

انحنى حميد التقط صحفه، رتبها ثم تأبطها.

–أين تسكنين؟ سوف أرافقك. هل ربحت كثيرا هذه الليلة؟

–قليلا إني أسكن هناك في زنقة (فرانسوا ديفيون) التي تلتقي مع شارع (علي بن أبي طالب)>>[1]، ينقل المشهد السردي تلك المشادة التي حصلت بين أمريكين حول جسد "غنو" فكل واحد يريدها لنفسه. يأتي الحوار حول مسكن" غنو" وحياتها بعد السرد مباشرة ليخلق حدث جديد يكمن في التعارف بين الطرفين وذهاب "حميد" إلى منزل "غنو"، هذا الحدث سيغير حياة حميد بالكامل.

[1] محمد زفزاف: محاولة عيش، ص77.

بعد تحديد موقع الراوي في السرد وتبيان الموقع المتخذ من طرفه في السرد، فإن الخطوة الثانية من التحليل تتمثل في تحديد البنية الدالة والممثلة في البنية الفكرية في النص، وذلك من خلال ما أشار إليه الراوي من أحداث كامنة في المجتمع:

–<< لم يكن يعرف للرجل اسما، إلا أنه سينيغالي أسود، الوحيد الذي لايشرب في الباخرة ولا يأكل لحم الخنزير، البحار الوحيد الذي يصلي. كان البحارة الآخرون يتندرون به ويضحكون منه. لكن حميد كان يحبه. وبالرغم من سواده إلا أنه مسلم حقيقي. أحسن من بعض المسلمين البيض الأثرياء الذين يعرفهم في المدينة. إنهم قساة>>[1].

–<<لست وحدك. كلنا كنا نخشاه حتى الشرطة والجمارك كانوا يخشونه رغم أنه مجرد حارس باخرة.

–لكن ليس هم الذين عينوه، يقال أن له علاقة برجل كبير في المكتب الثاني بالرباط.>>[2].

–<<امتداد شاسع من البراريك القصديرية، كلها متد في ساحة واسعة بضاحية المدينة، تتعرج أحيانا تتشتت لتلتقي في أماكن معينة. كل هذه الآلاف من الناس هي في خدمة سكان المدينة>>[3].

–<<في الطريق عرف، أخذ حميد فكرة عن الرئيس. عليه أن يكون مؤدبا أمامه، أن يكون ساذجا، فالرئيس لا يحب الأذكياء ذوي النظرات الحادة>>[4].

–<< أنت لا تعرفين الميناء. الدور لا يصلك إلا بالرشوة ... >>[5]

–<<من أين تعلمت هذا الكلام؟ هل تريد الإخلال بمقدسات الدولة ياكلب؟ يجب أن ترى وتسكت، أن تسمع وتسكت>>[6].

---

[1] محمد زفزاف: محاولة عيش، ص5.

[2] المصدر نفسه، ص9.

[3] نفسه، ص17.

[4] نفسه، ص20.

[5] نفسه، ص 25.

[6] نفسه، ص34.

–<<ولكن يبدو أنه يريد أن يدخل في صراع مع الشرطة والدولة. عليه أن يعرف أن ذلك ليس في مستطاع الفقراء أمثالنا>>[1].

–<< الجنود الأمريكيون يريدون أن يستعمروننا...

لقد استعمرونا بالفعل >>[2].

<<أمريكا تصافح هذا العاطل المسلول، إن الرئيس الأمريكي يصافح كل عاطل في هذه البراريك، ويبتسم لكل مسلول أو مشلول. وأيضا الأمريكيين يلقون نفايات القاعدة الجوية، فيتسارع إليها كل سكان البراريك ليلتقطوا الأجبان الممدودة وبقايا المصبرات القذرة.>>[3]

2/ب/2–الفهم والتفسير.

تعد الرواية من أبرز الفنون الأدبية التي تنهل من الواقع وتعتبره مادة خاما في صياغة المواضيع الأدبية، وغالبا ما تنهل الرواية من الواقع غير المتصالح مع نفسه، والذي يتخبط في مجموع الصراعات السياسية الفكرية، والإجتماعية... مجمل هذه الصراعات يولد رؤى متناقضة بين الإيديولوجيات المختلفة، ورواية "محاولة عيش" التي يتبين أنها رواية واقعية تنهل أحداثها من الواقع المغربي، وتعيد صياغته في شكل فني يبث أنساقا إيديولوجية يعبر عنها في ملفوظ المتكلمين والراوي على حد سواء فمن خلال البنى الفكرية المستخرجة من الرواية يبرز الصراع الإيديولوجي داخل المجتمع المغربي، وهو ذو أطراف متباينة، يتمثل في الصراع بين الإيديولوجيات المغربية من جهة، وصراع آخر بين الإيديولوجية المغربية العربية والأخرى الإفريقية من جهة أخرى، ومن جهة ثالثة صراع بين الإيديولوجية المغربية

---

[1] محمد زفزاف: محاولة عيش، ص35.

[2] نفسه، ص53.

[3] نفسه، ص58.

والعربية والإيديولوجية الغربية خاصة الأمريكية التي كان لها ظهورا قويا في النص، فالفن الروائي ليس حبيسا لإيديولوجية معينة سواء كانت سائدة أو معارضة، أو حكرا على الإيديولوجيات الاجتماعية وإنما يكون <<مفتوح على شتى المواقف والإيديولوجيات الممكنة>>[1]. يستهل السارد النص الروائي بتعرض البحار "السينغالي" الأسود إلى الإستهزاء والسخرية من طرف الزملاء الآخرون، يتندرون به ويضحكون منه ولأنه أسود ولا يأكل لحم الخنزير فهو منبوذ يتعرض للعصنرية في المجتمع، وهذا صراع بين أبناء المغرب البيض والأفارقة المنوذين من طرف هؤلاء المغاربة الذين يرون في الإفريقي الأسود عيبا وعاهة، وأنه دونهم في المستوى. ووجود العنصرية في المجتمع المغربي، والذي يبدو أنه واقعي فعلا يأخذ عند توظيفه سرديا أبعادا رمزية كثيرة يحاول السارد من خلالها إيصال إيديولوجية معينة، فالرجل "السينغالي" الأسود ذو أصول إسلامية إفريقية، وأصوله هي نفسها الأصول المغربية الإسلامية الإفريقية، فالسارد عند توظيفه للعنصرية الضاربة في المجتمع يجعل البطل "حميد" شخصا محبا لـ"السينيغالي" الأسود، وعند محاولة تفكيك المعنى و قراءته يتبدى أن تلك المحبة هي تمسك بالأصول، ومحاولة إلى توطيد العلاقة مع الأفارقة، والأمل في إنشاء علاقات ووحدة إفريقية متماسكة، وبمقابل ذلك يستكره تلك العلاقات الناشئة بين المغرب والكيان الغربي والأمريكي المضمر تحت نسق البيض، فالبيض يشير إلى مدلولين الأول وهو العنصرية داخل المجتمع وانقسامه إلى طبقات غنية تخمة، ومترفة، تتعالى على أبناء الأفارقة وطبقات أخرى فقيرة، محرومة وهامشية تعاني الإسفاف والتهميش الإجتماعي والإقتصادي من طرف الطبقة الغنية البيضاء، وهذا هو المدلول العام والبارز في السطح الروائي، أما المدلول الثاني فيشير إلى الآخر الغربي الذي يمتاز بالبشرة بالبيضاء والعنصرية، والباعث على هذا القول

[1] حميد الحميداني: النقد الروائي والإيديولوجيا (من سويولوجيا الرواية) إلى سوسيولوجيا النص)، المركز الثقافي العربي، ط1990،1، ص39.

بأمل السارد في التمسك بالأصول والدال عليه أيضا هي اللغة المشحونة بمشاعر المحبة والود اتجاه "السينيغالي"<< لكن حميد كان يحبه>>[1]، ومحبة الإفريقي محبة للأصول المغربية الإفريقية وتمسك بها وبالتاريخ، أما البيض فاللغة التي عبر بها عنهم جاءت مشحونة بمشاعر الكره والقسوة، فهو يكرههم لأنهم قساة، والمقصود بالبيض ليس أبناء المغرب الأغنياء فقط، وإنما يقصد بهم الأمريكين وبعض الأروبيين الذين أعاتوا سبل الفساد في المجتمع. ويمثل الأمريكيون طرفا من الصراع الإيديولوجي، وهو الصراع بين الإيديولوجية المغربية العربية ذات الطبيعة الإسلامية والإيديولوجية الغربية ذات الطبيعة المسيحية، إذ يسعى أنصار هذه الأخيرة إلى ترسيخ الأنساق الفكرية والثقافية التي يؤمنون بها. يتعرض البطل "حميد" الذي يبدو أنه شخصية محورية في النص السردي إلى عدة محاولات يُفرض عليه فيها عليه شرب الخمر من طرف الجنود الأمريكيين، إلا أن هذه المحاولات تبوء بالفشل لكون "حميد" متمسك برؤاه <<**فهم أنه يدعوه للشراب، أشار حميد برأسه أن لا. لكن الأمريكي خاطبه بالعربية:**

–لاتريد؟

–لا.

–لماذا؟

–أنا مسلم.>>[2].

يستمر الصراع بين الإيديولوجيتين العربية المغربية والغربية التي تمثلها ثناية لحم الخنزير والشراب فهما العنصران البارزان في الثقافة الغربية والمعبران عن إيديولوجيتها في هذا النص. يقدُم الجندي

---

[1] محمد زفزاف: محاولة عيش، 5

[2] المصدر نفسه، ص32.

الأمريكي على محاولات أخرى لفرض ثقافته وتفعيلها في المجتمع المغربي، ويجبر هذا الأخير أحد سندويشات لحم الخنزير للشخصية البطلة التي تمثل الإيديولوجية المغربية المسلمة، إلا أنه يرفضها كل الرفض "حميد" تلك اللقيمة دون هضمها، والتي دسها الجندي عنوة في فمه << **لاحظ الأمريكي أن حميد ينظر (إلى بقايا السندويش)، فقال لحميد:**

_ألم تأكل؟ هل تريد هذا؟

فسأله حميد:

–هل هو لحم الخلوف؟

–نعم.

–لاآكله.....

–يجب أن تأكل....

–لا كله أمامي....

عندما غادر حميد (البار)، بصق مافي داخل فمه بتقزز>>[1]، ففي بصق اللحم رفض للآخر ولثقافته و"حميد" هنا يمثل أحد الأصوات الإيديولوجية في المجتمع المغربي، وهي التي ترفض هذا الآخر لكونها ترى اختلافا في القيم والمبادئ التي يؤمن بها كل طرف، وترفض هذه الإيديولوجية إقامة علاقات مع الآخر، لأن العلاقة بينه وبين الآخر قائمة على العنصرية والأفضلية الغربية، فالآخر يرى نفسه أفضل من المغربي العربي الذي يعتبره لعبة في يده، كما يرى أن ثقافة الأنا المغربية مجرد خزعبلات وهرطقات

[1] محمد زفزاف: محاولة عيش، ص38.

أملاها عليه التاريخ، أو الأسلاف <<لقد حشوا رؤوسكم بأفكار فارغة. يجب أن تأكل حتى لا تظل نحيفا مثل معزة>>[1]. وليس "حميد" وحده من يمثل هذه الإيديولوجية فهناك أصوات أخرى إلى جانب الصوت "حميد"، فالسارد في النص يقدم صورا متباية للمرأة، صورة المرأة الأم المقدسة، والمضحية من أجل الأسرة والأبناء، وصورة المرأة الشريفة العفيفة المحافظة <<إن أمك عندما خطبت أول الأمر لم تكن تخرج من بيتها حتى خرجت نهائيا إلى بيت زوجها>>[2]، وتقترن هذه الصورة الشريفة بالفخر والإعتزاز في المجتمع، فوالدة "فيطونة" تعتز بابنتها التي تعتقد أنها طاهرة شريفة، تربت على أصول عربية مغاربية إسلامية <<الليلة سوف تعرفين كيف أني أعطيت لولدك كلها فتاة وطهارة>>[3]، إضافة إلى الصورتين السابقتين يضيف السارد صورة المرأة الجسد من خلال حياة التسفر، والبغي، والبارات إضافة إلى صورة المرأة المخلوق الناقص الذي في اتباعه سقوط في لا مناص منه <<**النساء كلهن يتشابهن، المرأة ضلع أعوج ذلك ما قاله سادتنا الأوائل**>>[4]، ويمكن تعليل الخوض في هذا الجانب الصغير من الصوراتية بكون مجموع هذه الصور الواقعية حول المرأة في المجتمع المغربي قد أخذت أبعادا أخرى غير الأبعاد التي تظهر في سطح النص الروائي، فهي ترمز أو تشير إلى تعدد الثقافات والإيديولوجيات المختلفة التي تشرب منها المجتمع المغربي المتعدد الثقافات، وعند محاولة قراءة صور المرأة المتواجدة في النص، أو قراءة بعضها، وإسقاطها على الثقافات والإثنيات المتواجدة في المجتمع المغربي، فإن الباحث يجد صورة المرأة الشريفة، وهي رمز للحضارة العربية التي تمتاز بمجموع القيم والمبادئ الإنسانية والأخلاقية، وهذا هو الصوت الإيديولوجي المحافظ في المجتمع والرافض للثقافة والإيديولوجيات الغربية.

---

[1] محمد زفزاف: محاولة عيش، ص37

[2] المصدر نفسه، ص 73

[3] نفسه، ص90.

[4] نفسه، ص59.

وفي مقابل الإيديولوجية الرافضة للآخر يُبرز النص الإيديولوجية المؤيدة للآخر وثقافته والتعايش معه من خلال العلاقات بين الطرفين <<**أمريكا تصافح هذا العاطل المسلول، إن الرئيس الأمريكي يصافح كل عاطل في هذه البراريك، ويبتسم لكل مسلول أو مشلول.**>>[1]، فالمصافحة في معناها العام تدل على السلم، التعايش، والمصالحة، وهي أيضا ترمز أو تشير إلى جانب من الدبلوماسية، ومصافحة أمريكا للشعب المغربي هي مجموع العلاقات بين الكيانين الأمريكي والمغربي وهذا نسق فكري يبث في ثناياه الإيديولوجية الداعية إلى التعايش وإنشاء العلاقات مع الكيان والثقافة الغربية، وليست المصافحة وحدها التي تؤكد هذه الإيديولوجية وتبعث على تفعيلها، وإنما هناك أنساق أخرى دالة على الدعوة إلى التعايش مع الآخر، فصورة المرأة الجسد التي تشهد حياة الإنفتاح والإنحطاط الأخلاقي، ويمكن تفسيرها بالثقافة الغربية التي تقوم على الإنفتاح في الأخلاق، وفي هذه الصورة يُضمر السارد أو يبث الأصوت الإيديولوجية الداعية إلى انفتاح المرأة والمجتمع على الثقافات الغربية، وقد تجلت هذه الدعوة في القانون المغربي الذي ينهل من مختلف الثقافات باختلاف منابعها ومشاربها، فهي تعتمد الدين الإسلامي والهوية العربية لكنها تزاوج بين الثقافات الأخرى وتفعلها في المجتمع، في حين تغيب الدستور الإسلامي الذي تعتبره المصدر الأول للتشريع لكونها دولة إسلامية

<<-لا أدري لماذا لا يمكن لمغربية أن تدير هي أيضا حانة خمر.

-إن القانون يمنع ذلك، نحن في دولة مسلمة.

[1] محمد زفزاف: محاولة عيش، ص 58.

-ولكن القانون يسمح للمغربيات باحتراف البغاء، يسمح لهن بتعاطي الخمور، أغلبهن يملك أوراق العمل.>> [1]، وعلاوة على ذلك فقد تم تدشين أسماء الأماكن والأحياء المغربية بأسماء جنرلات فرنسية كانت يوما ما خصما وعدوا لذوذا يقاتله المغربي بكل شراسة من أجل استرجاع سيادته <<**إني أسكن هناك في زنقة «فرنسوا دي فيون» التي تلتقي مع شارع «علي بن أبي طالب»** >>[2]، والتقاء الشارعين عن طريق اللغة في النص السردي هو التقاء للحضارات في الواقع، ففي توظيف اسم "علي بن أبي طالب كرم الله وجهه" رمزية واضحة للحضارة العربية، المغربية، والإسلامية، أما "فرانسوا دي فيون" أحد الجنرالات الفرنسية إبان الإستعمار الفرنسي للمغرب، ووجود أسماء فرنسية لمثل هؤلاء في أراضي مغربية هو وجود للحضارة الفرنسية في البلاد المغربية، فالمستعمر لم يذهب وإنما خلف ويثا له في المغرب وهي الحضارة، لأن الحضارة لا تقوم إلا بوجود أرض وتاريخ، لهذا لما حكم الله عز وجل على اليهود بالشتات لم يستطيعوا أن يكونوا حضارة، فالأرض هي مكان انبعاث الحضارات، واختيار السارد للمكان "الزنقة" أو "الشارع" كان اختيارا منطقيا واقعيا، والمقابلة بين المكانين هي مقابلة بين الحضاراتين، وانبعاث حضارة أخرى تكاد تكون بموازاة الحضارة الأم.

أما بالنسبة لصورة المرأة المخلوق الناقص الذي لا يرقى إلى مستوى الكمال فتحمل في خلفياتها الثقافة اليهودية التي ترى في المرأة نقصا، وتمارس عليها أنواعا من الذل لأنها كانت السبب في خروج الأب آدم من الجنة. وإن تساءل الباحث عن إمكانية وجود هذه الثقافات في المجتمع المغربي فإن الإجابة عنه تكون واضحة من خلال البحث في تشكيلة المجتمع التي يجدها أنها تنبني على هذه الثقافات الثلاث من مغاربة يمثلون الثقافة العربية الإسلامية، وأبناء أمريكا وبعض الأروبيين الذين يمثلون

[1] محمد زفزاف: محاولة عيش، ص44.

[2] المصدر نفسه، ص77.

الثقافة الغربية المنفتحة إضافة إلى البعض من الأبناء المغاربة المؤمنين بهذه الثقافة، والعنصر الثالث اليهود يمثلون الثقافة اليهودية، والتي لم يكن لها ظهورا كبيرا في النص إلا من خلال هذا الإيحاء الرمزي، فالسارد قد جعل من صور المرأة رموزا وخلق فيها القدرة على الإشعاع أو الإيحاء بالمعنى المراد في ظاهر الرواية وباطنها، وجعل نوعا من التناسب بين ظاهر الرواية وباطنها من جهة، وبين الواقع من جهة أخرى.

وبعد الحديث عن الصراع الإيديولوجي مع الآخر تتوجه الدراسة إلى استخراج النوع الأخير من الصراع الإيديولوجي المتمثل في صراع الإيديولوجيات المغربية مع ذاتها وليس مع الآخر، وهو أيضا صراع متباين لكثرة تباين الإيديولوجيات المغربية، ويعد الصراع بين الإيديولوجية الرأسمالية القائمة على الإستغلال والإستلاب للطبقات المهمشة في المجتمع هو الصراع البارز، فالمجتمع يمتاز بكونه مجتمعا طبقيا تمثل فيه الطبقات الغنية السيادة إلى جانب السيادة السياسية للدولة، وتمارس هذين الأخيرتين جميع أنواع الإستبداد على الطبقات الشعبية من أبناء المغرب. فصاحب الجريدة الذي كان يعمل عنده "حميد" يمثل جانبا من الإيدولوجية الرأسمالية القائمة على الإستغلال، فهو يحمل نظرات احتقار للعالم، ولا يحب توظيف الأذكياء ذوي النظرات الحادة، وإنما يحب المعتوهين والمغفلين <<فالرئيس لايحب الأذكياء ذوي النظرات الحادة، يحب المعتوهين المغفلين. إن أقدم بائعي الصحف كلهم معتوهون... شاخوا وانسلخت أقدامهم، هذا هو النوع الجاد.>> [1]، وهذا هو النوع الذي يسهل استغلالة إضافة إلى الجدية التي أشير إليها في النص المقتبس، لأن الأذكياء لن يقبلوا أن يكونوا طعما لأنانية هؤلاء

[1] محمد زفزاف: محاولة عيش، ص 20.

الأجلاف الأنانيين. ومن الواضح أن هذه الطبقة المهمشة لها إيديولوجية خاصة بها، وليس في إقصائها من الحياة والمجتمع إلى الهامش إقصاء لوعيها، فهي تنبذ هذا الإستغلال من طرف هؤلاء.

إضافة إلى ماسبق ذكره من تداخل ثقافي وصراع إيديولوجي يقدم السارد المجتمع المغربي الذي تذروه رياح الجوع، الفقر، والتفكك الأسري، والبطالة، مجتمع أصبحت فيه القوامة للمرأة، والبيت للرجل <<لقد جعلتم مني عجوزا قبل الوقت. اشتغلت كل الحرف كي أطعم زوجا كالبغل وأولادا يأكلون كالجراد>>[1]، كما أعطى صورا للفساد البيروقراطي الذي يعصف بالمجتمع المغربي وحوله إلى فضاء للفوضى، تمارس فيه المحسوبية والرشوة جهارا، فمن يريد أن يحصل على حق في العمل أو المسكن فلا طريق لذلك إلا عن الفساد الإداري <<المقدم لنن يهدد بعد الآن بهدم البراكة ، بل أكثر من ذلك، أصبح في الإمكان توسيعها، على مرأى ومسمع. لقد دفع الحسن رشوة ثانية>>[2]، إنها رؤوس الشياطين التي يسكتها إلا أخذ حقوق الناس وسلب أموالهم.

إذا كان باختين يدعو في مقولته بالحوارية وتعدد الأصوات إلى كون كل إيديولوجية في النص قائمة بذاتها، ولا يمكنها أن تزول أمام الإيديولوجيات الأخرى، لأن الكاتب والسارد عنده يجب أن يكون حياديا لا ينتصر لأي إيديولوجية، فإن الإيديولوجية العربية في النص السردي الذي هو قيد البحث والدراسة قد فقدت مناعة المقاومة أمام ثقافة الآخر، فالبطل "حميد" الذي كان يمثل جانبا من الصوت الإيديولوجي العربي الإسلامي، اختفى صوته الإيديولوجي العربي <<**بدأ حميد يشعر أنه شخص**

[1] محمد زفزاف: محاولة عيش، ص 26.

[2] المصدر نفسه، ص 68.

آخر، يشرب كل مساء وينتظر غنو في نهاية الصباح لتوقظه عندما لا تتغيب أو تذهب إلى زبون>>[1]، وأصبح صوته منفعلا في تلك الثقافة كغيره من الأصوات الشعبية التي تمثل الإنحلال، والإنبطاح أمام ثقافة الآخر.

أما من المنظور "اللوكاتشي" فإن سقوط "حميد" هو سقوط محتم فرضته عليه البيئة المنحطة التي ينتمي إليها، والتي منعته من تحقيق ذاته، والوصول إليها، فانخرط في حياة مجتمعه، وهذا ما يعرف بـ "البطل الإشكالي"، والذي تبدى أنه من مظاهر التجديد في الرواية الواقعية الاجتماعية في المغرب.

إذا يتكون المجتمع المغربي من إيديولوجيات متناقضة تتصارع فيما بينها، إضافة إلى الصراع مع الإيديولوجيات الغربية، ويبدو في الحقيقة أنه مجتمع يعاني من التجزئة والتشظي على جميع مستوياته الاجتماعية، السياسية، والثقافية.

2/ج/3-الوعي القائم والوعي الممكن.

يعرض السارد مجموع القضايا الإجتماعية والإيديولوجيات الضاربة في المجتمع من عنصرية طبقية، ثقافات مختلفة بعضها قائمة على احتقار الثقافة والفرد المغربيين، واستغلال بين أبناء المجتمع إضافة إلى الفوضى والمجاعة القاتلة التي تحيط بالمكان، وتعتبر مجموع هذه التيمات بمثابة وعي لوضع المجتمع المغربي الذي يسير في اتجاه مماثل للإتجاه الإستعماري الفرنسي القمعي الشرس، فبالعودة إلى التاريخ المغربي بعد الإستقلال يجد الباحث أنه يمتاز بالتذبذب الداخلي المتمثل في الصراع السياسي الداخلي بين الحركة الوطنية وحزب الإستقلال، أما خارجيا فقد كان المغرب في تفاوض مع أمريكا من

[1] محمد زفاف: محاولة عيش، ص82.

أجل سحب القواعد العسكرية الثلاث التي أنشئت أثناء الإستعمار الفرنسي لأجل الحماية، إذ رأى أن الدولة الأمريكية كيان عالمي، مهمته هي الدفاع عن السيادة، والحق، والشرعية الدولية للدول التي تعيش تحت زخات الخطر، الظلم، والإستعمار، وقد استمر وجود هذه القواعد العسكرية الأمريكية في المملكة في الفترة الممتدة مابين (1942 و1963)[1]، كما كانت الدولة الأمريكية من بين أهم الدول الإقتصادية التي تبادل معها المغرب نشاطه الإقتصادي، وعلى الصعيد الإقتصادي فإن الدولة قد الغربية تبنت الدولة سياسة المخططات الخماسية ودعم الإقتصاد الحر، وكان نتاج ذلك ظهور فساد بيروقراطي، وإداري، وإجحاف أخلاقي، وعطب غائر في المجتمع الذي أصيب بالجهل الذي خلفه العدو المستعمر ليتراكم عليه الجهل الذي زرعته طبيعة النظام، إضافة إلى الفقر المدقع، وحش الجوع القاتل، وشبح البطالة، أما الطبقية الاجتماعية فهي الأخرى لم ترحم أبناء المغرب وأحدثت فوارقا وطبقات اجتماعية متعددة منها الطبقات الغنية، ومنها المتوسطة والفقيرة التي بدورها تضم أشكالا مختلفة بروليتاريا وبطالين[2]، طبقات يستغل بعضها بعضا، وعلاوة على ذلك أصبح المغرب يعيش إثر تواجد الآخر الأمريكي منذ بداية الخمسينيات، وكذلك إثر تواجد اليهودي انفتاحا على الثقافة الغربية المضادة للثقافة العربية، حيث تبع ذلك تشظيا وفوضى في المنظومة الاجتماعية، مما سيؤدي حتما إلى انهيار كلي للمجتمع المغربي ولمقومات الهوية الثقافية العربية المغربية، كما أن المجتمع الغربي يعاني من وباء العنصرية، فالأفارقة المهاجرين أثقلت كاهلهم حمى العنصرية التي كانت تصيبهم من طرف المغاربة الذين يرون أنفسهم يمثلون الأفضلية، وقد أكدت دراسة أن نسبة العنصرية في المغرب سنة (2012م)

---

[1] ينظر: محمد النحيلي، الإنزال العسكري الأمريكي بالمغرب إبان الحرب العالمية الثانية الظروف والخلفيات، ضمن الموقع الإلكتروني: الحوار المتمدن: s.asp<m.ahewar.og/04-06-2020.

[2] ينظر: محمد همام: الفن المغربي جاذبا للإندماج الإجتماعي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2013، ص21.

قد بلغت خمسة وسبعين نسبة مؤية[1] والعنصرية إشكالية يعاني منها المغرب منذ القديم، وقد استلهم الكتاب المغاربة هذه الظاهرة في كتباتهم من بينهم الكاتب "بن جلون" في مؤلفه السالف الذكر "زواج المتعة"، كما أشار إليها "مُحَمَّد فزاف" في ومضة صغيرة في بداية مؤلفه، ومجمل القول إن السارد قد مثل مرحلة تاريخية شائكة في البلاد المغربية والتي مست المجتمع بعمق، وأحد خصائص هذه الرواية أنها تقدم فترة الصراع الاجتماعي الطبقي من جهة، وصراع الذات والثقافة المغربية الإسلامية مع نظيرتها الغربية من جهة أخرى، ومن جهة ثالثة فهي تشهد صراعا عنصريا، وهو صراع القيم والمصالح والإتجاهات، إذا فهي مرحلة تتربع على عرشها كل المظاهر السيئة السلبية في المجتمع، وقد وعى السارد بهذه الإيديولوجيات والثقافات المختلفة في المجتمع المغربي، والقول بوعي السارد هو القول بوعي الكاتب ونظرته للواقع، لأن صوت السارد ورؤيته هي صوت الكاتب نفسه، فالكاتب متخف وراء السارد، وقد حاول تجسيد ذلك الوعي من خلال شخصية البطل "حميد" الذي يمثل مجموعة من القيم المضادة لقيم مجتمعه، فهو واع بالعنصرية الضاربة في أعماق مجتمعه، ويرفض كره "السينغالي" الأسود الذي يعد رمزا لأولئك الأفارقة المنبوذين والمستغلين من طرف المغاربة، ورمزا أيضا للأصول المغربية التي هي بدورها بلدا إفريقيا يمثل جزءا من حضارة القارة السمراء ذات الأغلبية المسلمة، وهي حضارة مشتركة في القيم، والمبادئ، والتاريخ، فهي تعاني العنصرية من الآخر الغربي، كما تعاني من التبعية له لكونها خضعت للإستعمار الأروبي وسياسة النهب والسلب التي فرضها على أبناء هذه القارة. يقابل "حميد" ذلك الأسود الإفريقي بكل إنسانية وحب، فهو بالرغم من سواده إلا أنه إنساني بخلاف البيض الأغنياء الذين يمثلون كل أنواع الظلم والإستبداد <<**ولكن حميد كان يحبه. وبالرغم من سواده فهو مسلم حقيقي.**

[1] ينظر: رامي السباعي: هل المغاربة عنصرويون، ضمن الموقع الإلكتروني: مرايانا:laune <marayana.com/05-06-2020

أحسن من بعض المسلمين البيض الأثرياء الذين يعرفهم في المدينة. إنهم قساة. لايشترون جرائده>>[1] وهنا أيضا يبرز وعي "حميد" بالإنتماء، الهوية، وضرورة التمسك بالروح الإفريقية، وكذا وعيه بالتركيبة الاجتماعية، والصراع الطبقي، فالمجتمع المغربي يتكون من طبقة الأغنياء المتسلطون الأشرار، وطبقة معدمة، مهمشة، وفقيرة، وهي طبقة البطل التي يمارس عليها الإستغلال، والقمع من طرف الطبقة الفوقية من جهة، ومن نظام المملكة الشائك الذي يسعى لبث نظام حكم جديد من جهة أخرى، مارست الدولة من خلال ذلك قمعا فتاكا بشعوب المغرب، وقد كانت أجهزة الدولة الممثلة في الشرطة كفيلة بذلك، فهي تظل تجول وتصول في الشوارع المغربية من أجل ممارسة قمعها على الشعوب خاصة المعدمة منها، لأن الطبقات البرجوازية الغنية كان النظام حليفها، بخلاف الطبقات التحتية عليها أن تكون صما، وبكما، وعميا، عليها أن تكون كالأنعام الضالة حتى إن سمعت ورأت فلا يمكنها أن تتكلم أوتعارض، وإن بدر منها ذلك فإن كلامها لا يبلغ إلى مسامع أحد، بل يبقى حبيس نفسها <<**يبدو أنه يريد أن يدخل في صراع مع الشرطة والدولة.عليه أن يعرف أن لك ليس في مستطاع الفقراء أمثالنا**>>[2]، ويبرز أيضا جانبا من الوعي بالذات وخطر البطالة التي يتأرجح فيها البطل والمجتمع على حد سواء، حيث كان مجرد معتوه أبله، ولم يكن يعرف أي حق أو أي سبيل سيتخذه في هذا الواقع الهائج المائج كبحر ارتطمت أمواجه بوجه المجتمع الذي انقلب خرابا ودمارا، لكنه أدرك حالته تلك، وحاول أن يفعل إلى أن نجح في ذلك، وصار عارفا ماذا سيفعل، وأي طريق سيتخذ، سيتوجه إلى مكتب الصحف ليصبح بائع صحف <<**لم يكن يعرف ماذا يفعل بنفسه. لكنه الآن عرف ماذا يفعل**

---

[1] محمد زفزاف: محاولة عيش، ص05.

[2] المصدر نفسه، ص35.

بها>>[1]، وكأن في معرفة البطل للذات هي سبيل التغيير، فالتغيير ينطلق من الوعي بالذات وتأملها لمعرفة الطريق، والسارد يسعى من خلال وعي "حميد" بذاته إلى إسقاطها على المجتمع الذي بحاجة إلى التأمل والوعي بالذات، وبعدها يكشف سبب علته من جميع جوانبها الإقتصادية، والفكرية والاجتماعية، والسياسية، وبعد تأتي مرحلة البحث عن سبل العلاج والتغيير من الأوضاع الإقتصادية المتردية، والقضاء على الجوع والمجاعة، والحد من البطالة التي كانت سببا في كل الآفات الاجتماعية وكذا التغيير من المنظومات السياسية التابعة للإيديولوجيات الغربية وانتهاج سياسية سليمة تخلو من الديكتاتورية والبيروقراطية، والإستقلال بكيان مغربي خاص، وإعادة بناء المجتمع والقضاء على الاستغلال والفوارق الطبقية الموجودة فيه.

أما بالنسبة للوعي بالآخر الأمريكي فقد أدرك البطل طبيعة الحرب الضروس بينه وبين الأمريكي، وكان كيسا فطنا لتلك المراوغات التي يستعملها الأجنبي لإسقاط الحضارة العربية والثقافة الإسلامية التي يعتبرها مجرد أوهام فارغة لا أساس لها، ومجرد هرطقات يعتقدها العربي المغربي اللامتحضر، لتأتي بعد هذه السخرية والإبتزازات محاولات ترسيخ الثقافة الغربية حتى وإن كان عن طريق القوة والإجبار بعدما لم ينفع أسلوب الدعوة اللين، وقد كان موقف الذات المغربية موقفا واعيا شامخا كمشوخ الجبال يأبى أن ينحني لغير تاريخه ومعتقداته، لأنها معتقدات لا تحل له كما لا يحل له الخنزير، وبصقها والإشمئزاز منها لا محالة منه <<**أمسك الأمريكي (السندويش) وحاول أن يدسه في فم حميد بالقوة وهو يضحك. يجب أن تأكل.....عندما غادر حميد (البار)، بصق مافي داخل فمه بتقزز، وطوح**

[1] محمد زفزاف: محاولة عيش، ص21.

(بالشندويش) في الساحة الصغيرة أمامه....رأى طفلين طفلين مشردين، يركضان. يتخاطفان (السندويش) من الأرض. أخذ يلتهمانه بنهم. صرخ فيهما حميد:

-إنه حرام . إنه لحم الخلوف. لا تاكلاه >>[1]، فالبطل مدرك لخطورة الوجود الأمريكي في البلاد لما أحدثه من تبعية ثقافية، سياسية، واقتصادية، ومن انحلال أخلاقي-ارتفاع نسبة المومس والبارات-انسلاخ في الهوية العربية المغربية خاصة إذا كان هذا الإنصهار من قبل أهل البادية <<**المغربيات لا يجلسن على الإفريز، يوجدن داخل البار يشربن أو يبتززن بعض الزبائن، أو يبكين على ماضيهن الريفي. من الريف مباشرة إلى الكحول، إلى السجارة، إلى صالونات الحلاقة والتتزيين**>>[2]، فإن ذلك لأمر عظيم لأن أهل الريف والبادية يمثلون الأصالة والتشدد في التمسك بالهوية، والعادات، والتقاليد، وأعراف المجتمع، فهم يمتازون بالشدة، وعدم الإنفتاح على الآخر وتقبله بجميع أنساقة الفكرية، الدينية...، وإذا انسلخ أهل الريف الذين يمتازون بغلوهم الشديد في التمسك بالعرف، والأصل، والثقافة الإسلامية العربية، وانصهر في ثقافة الآخر المضاد فكيف يكون الأمر مع أصحاب الحضر الذين يمتازون بصورة الإندماج السريع وتقبل الآخر والأجنبي بسهولة؟ وما مصير الهوية المغربية؟ وأي هوية وتاريخ ستسطره من جديد؟ إن في انسلاخ الريف من المقومات المغربية طمس للهوية المغربية العربية طمسا تاما، لأن أهل البادية هم الذين يحملون أصل وعادات المجتمع، والحفاظ على الأصل واتاريخ بحفاظ هؤلاء على التقاليد، وفي انسلاخهم موت للحضارة، واندثار للقيم، ليصير مصير التاريخ المغربي والهوية بيد الغرب الذي سيكتبه له كيفما يريد هو وليس كما يريد المغربي، وإلى جانب هذا فقد وعى البطل بخطورة المومس والعمل به لما يلحقه بأضرار على الفرد والمجتمع على حد سواء <<فهم حميد فيما بعد

---

[1] محمد زفزاف: محاولة عيش، ص38.

[2] المصدر نفسه، ص 51.

أن تلك المهنة هي مهنة المشاكل حقا>>[1]، فـ"غنو" التي التحقت بفضاء القنطيرة من أجل العمل كمومس قد تقاذفت عليها شظايا المشاكل الإجتماعية، و"غنو" هي الأخرى كانت قد وعت بذلك عندما أدركت هويتها، أصلها، وثقافتها المغربية، وحاولت الرجوع إليها بعد فطام دام بينهما << إنها قذرة فعلا، كوخنا في العوامرة أحسن من أية براكة من تلك البراريك. لو لم تقع لي تلك الحادثة لكنت قد بقيت مع أبي وأمي وإخوتي. العوامرة أفضل لي بكثير>>[2]، فالشخصية "غنو" تفضل مسقط رأسها وأصلها العوامرة –الذي يعبر عن انتمائها وهويتها الخالصة– على فضاء "القنطيرة" الذي تعرفت فيه على الآخر، والتقت بحضارته، فـ"القنيطرة والعوامرة" فضاءان متناقضان يمثل الأول فضاء تلاقي الحضارات، الثقافات، والإثنيات اليهودية، العربية، الأمريكية والأروبية، في حين يمثل الفضاء الآخر النقاء العرقي والثقافي المغربي، و"غنو" تحن وتحاول العودة إلى أحضان الأصل، وقد كان البطل "حميد" من البداية رافضا لتواجد هذا الآخر، ولم تعجبه اللعب التي كان يمارسها، فبعد أن اعتبر الأمريكي العربي مجرد هبة للعبة القمار مع مومسه أبدى "حميد" رأيه بالمعارضة ولم تعجبه اللعبة <<**لم تعجب حميد هذه اللعبة**>>[3]، رفض لعبة يكون فيها مجرد دمية في يد الآخر الخبيث الذي يراوغه سياسيا، اقتصاديا، وثقافيا، كما أدركت بعض الشخصيات طبيعة القانون المغربي الخاص الذي يبدو متناقضا مع ذاته <<–الدولة تسمح لهن بذلك، ولكنها لا تسمح لهن بإدارة حانة. ذلك قانونهم>>[4].

---

[1] محمد زفزاف: محاولة عيش، ص 81.

[2] المصدر نفسه، ص79.

[3] نفسه، ص32.

[4] نفسه، ص 44.

بعد الوقوف عند الوعي القائم يتبدى للباحث أنه وعي فردي، فالطبقة لم تعبر عن وعيها بحالتها الاجتماعية، وإنما كان "حميد" وحده من وعى بذلك، وبهذا فهي لم تستطع أن تغير مسارها التاريخي، أما الوعي الممكن يبرز من خلال التعايش مع "السينغالي" الأسود، وكسر القيود العنصرية التي سنها المجتمع، إضافة إلى وقوفه في وجه الآخر وصموده أمام ثقافته، والمحافظة على الهوية المغربية العربية وتعتبر محاولة البحث عن الذات والحصول على كرسي عمل وعي ممكن، فالبطل قد عمل على تغير حالته —من بطال إلى عامل- مع الحفاظ على وضعه الطبقي في المجتمع، وللوعي الممكن ترابط وتداخل كبيرين مع رؤية العالم التي أراد السارد أو الكاتب تجسيدها في هذا الفضاء اللغوي، لأن رؤية العالم كما جاء بها "غولدمان" هي الوعي الممكن الذي تقدمه الجماعة.

2/د/4-رؤية العالم.

إذا كان احتواء النص السردي على الإيديولوجيا حسب"باختين" هو أحد المكونات الفنية الجمالية التي تمنحه رسم عالمه الخاص، وهو مايسمى بالإيديولوجيا في الرواية، فإن رؤية العالم التي نادى بها "لوسيان غولدمان" هي رؤية معاكسة تماما لما نادى به الباحث الروسي"مخائيل باختين"، فالرؤية عند "غولدمان" تجعل من الرواية إديولوجية، لأن الرؤية التي يقدمها الكاتب حول العالم أو الواقع هي الإيديولوجيا التي ينتمي إليها[1]، وفي رواية "محاولة عيش" يقدم السارد صوتا إيديولوجيا ينتقد فيه واقع المجتمع المغربي بأسلوب واع، ومعارض لهذا الظلام الذي يغشى سماء المجتمع المغربي من عنصرية تسعى لتشتيت الوحدة الإفريقية وضربها في أصولها وهويتها، غزو ثقافي، سيادة مفقودة، جهل دامس، مجاعة تنخر عظام البشر، طبقية تهدد إنسانية المجتمع، أعراض هتكت، أجساد ابتاعت بأثمان الدناءة

[1] ينظر: حميد الحميداني: النقد الروائي والإيديولوجيا، ص33.

والشهوات، ومزابل من الآفات الاجتماعية انتشرت على نطاق واسع في المجتمع المغربي، هوية وقيم مغربية دفنت، وغربية بُعثت لتنشر روح السم والخبث إلى هذا المجتمع، ودولة لا زالت عروسا لم تتمتع بعرس الإستقلال لتخطف روحها وتخطف أنفاس شعبها، تمارس عليه أنواع القهر، الذل، والإستغلال ودعوة السارد إلى التغيير من الوضع القائم جلية انطلاقا من التسامح، التعايش مع الأفارقة السود وإنشاء علاقات سياسية، اقتصادية، وثقافية من أجل تعزيز الهوية الإفريقة جلية، وذلك من خلال اللغة كما ذكر سابقا، فهي مشحونة بالعداء والكره لـ"البيض" كنسق ثقافي يشير إلى الآخر الغربي ومشحونة أيضا بمشاعر سلبية اتجاه أولئك الأغنياء الذين يمثلون المركز من أبناء المغرب بخلاف الطبقات الأخرى من الشعب، إنها الهامش، فالسارد ينتقد للوضع الطبقي، ويستكره وضع التشظي في المجتمع المغربي وتبقى دائما اللغة هي السبيل الذي يبعث إلى هذا القول أو هذه الرؤية، فالسارد حينما ينقل بعض المشاهد السردية التي تحمل صورا عن الإستغلال والفوضى من طرف حراس السفن يجعل اللغة التي يعبر بها عنهم تحمل زخما من معاني الدناءة والإحتقار، يصفهم بالأجلاف، والدغامرة <<**جره الحارس إلى البراكة. شعر حميد بخوف، هؤلاء الأجلاف. كم قساة... كأنهم تربوا في مواخير. ربما اختاروهم من المجرمين ومن سفاكي الدماء. انتزع الحارس منه الصحف، شتتها فوق الطاولة أمامه**>>[1]، والسبيل نفسه نفسه يجده الباحث عند تعبيره على الأجهزة القمعية للدولة، والممثلة في الشرطة التي كانت تعتقل النساء، وتطارد الشباب، وتسرق الشعب، فالسارد يصفهم بالقذارة والدناءة <<وقف "حميد" لحظة يفكر فيما يفعل. لم يكن في مستطاعه إقناع الشرطي، إنهم قذرون>>[2]، لهذا فهو يسعى إلى محاولة التغيير من الواقع الاجتماعي والإقتصادي، وانتهاج سياسات جديدة تأخذ بالمجتمع إلى سبيل التقدم والتخلص من

(1) محمد زفزاف: محاولة عيش، ص15.

(2) المصدر نفسه،ص48.

الأنظمة المهترئة، والتبعية الإقتصادية، والسياسية، وإلى جانب هذا، فإن الراوي قد قدم رؤية اتجاه الآخر الذي عده إنسانا فوضويا ومستعمرا، فاقدا للقيم الأخلاقية، يحتقر المغاربة، فوجودهم عائق كبير أما تقدم المجتمع المغربي ماداموا يسعون إلى خلق نزاعات، فوضى، ومحاربة القيم، لذلك على الدولة أن تنهي وجودهم في المغرب، وتبقى اللغة دائما هي الموحية على ذلك الرفض لهذا الآخر لأن الكاتب قد جعل من اللغة وعاء لأفكاره وحاول تمرير هذه الإيديولوجية عن طريق اللغة الرمزية الموحية، وتوحي لغة السارد إلى رفض هؤلاء الأمريكيين لكونه يصفهم بـ"الخنازير" <<حميد انهال عليه بضربة حذاء فأصدر صوتا مثل صوت الخنزير>>[1]، إضافة إلى ذلك الرفض الذي جاء من طرف "حميد" الذي يعد شخصية محورية في النص.

ويركز السارد على فكرة الوعي بالذات والتغيير انطلاقا من وعي البطل "حميد" لحالته <<لم **يكن يعرف حميد ماذا يفعل بنفسه. ولكنه الآن عرف ماذا يفعل بها**>>[2]، يكرر السارد هذه العبارة بكثرة في النص، وهو تأكيد على ضرورة الوعي بالمجتمع ومحاولة تأمل الواقع بهدف التغيير من الأمراض التي رهنته، على المجتمع أن يضع أصبعه على مكمن الضعف، ويقف بالمرصاد للآخر الذي يريده أن ينسلخ من هويته، أن يثبت كيانه واستقلاله بكل ما أوتي من قوة، أن لا يترك حضارته تتلاقى وتتصافح مع حضارة الآخر، كما تلاقى اسم الشارع "علي بن أبي طالب" مع اسم زنقة "فرانسوا دي فيون" <<**إني أسكن هناك في زنقة «فرنسوا دي فيون» التي تلتقي مع شارع «علي بن أبي طالب»** >>[3] لذلك على السياسات المغربية أن تسارع إلى قطع العلاقات مع الأمريكيين قبل أن يبدأ تجسيد

---

[1] محمد زفزاف: محاولة عيش، ص76.

[2] المصدر نفسه، ص21.

[3] نفسه، ص77.

حضارتهم كليا فوق الأراضي، وتطهير المغرب منهم حتى لا يعيد التاريخ نفسه، وتجد المغرب نفسها أمام استعمار جديد، وهي لم تتحرر من الإستعمار القديم الذي بدأ في جعل المغرب ورثا له ولحضارته والقول ببدء الفرنسيين في إنشاء حضارة غربية على أرض المغرب وليس قيامها كليا بالرغم من بداية انبعاثها في المكان، هو قول تم إجلاؤه من خلال التركيز على اسم المكانين، فالسارد استعمل كلمة "شارع" عندما عبر عن الثقافة العربية، أما عندما عبر عن الغرب استعمل كلمة "زنقة" والزنقة أقل من الشارع ولا ترقى إلى مستواه، وكلمة "زنقة" توحي كذلك إلى استصغار هذه الحضارة، لذلك على المغربي أن يتفطن ويعود إلى تاريخه وحضارته، ويغير من مسيرته التاريخية، ويحاول أن يؤسس كيانا مستقلا من خلال الرجوع إلى الأصل والتاريخ، كما تطفنت "غنو" إلى ماضيها الذي يمثل تاريخها وأصلها وحنت إلى الرجوع إليه.

ويمكن القول أن رواية "محاولة عيش" لصاحبها "مُحَمَّد زفزاف" بما أثارته من مأساة المجتمع المغربي، ومن قضايا عميقة الصلة بالمجتمع في فترة مابعد الإستقلال قد استطاعت أن تتجاوز مرحلة الجري وراء الواقع، وتسجيل تفاصيله دون الفهم الكلي للظواهر الاجتماعية، وتمكنت من إنتاج نص واقعي انطلاقا من تبنيها للزمان، والمكان، والشخصيات الواقعية، واستطاعت بقيمها الجمالية وأبعادها الرمزية أن تحقق انسجاما بين ماهو خارجي وماهو داخلي، كما أنها تمكنت من إعطاء تحليل عميق للواقع، ولم تكتف بالسطح البارز، وإنما حاولت أن تحيط بالظاهرة الاجتماعية وأسبابها، وكان لموقع الرؤية من خلف دور بارز في ذلك، لأنه مكن السارد من التعمق في الأحداث، وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على نجاح التجريب الواقعي عند كتاب هذه المرحلة.

الخاتمة

بعد الجهد المبذول في هذا البحث العلمي المتعلق بـ "الواقعية الاجتماعية في الرواية المغربية المعاصرة رواية محاولة عيش أنموذجا"، المراد من خلاله معرفة طبيعة النص الروائي الواقعي عموما بكل ماطرأ عليه من مستجدات، وتغيرات خلال سيروته الفنية التاريخية، وكذا طبيعة النص الروائي المغربي الواقعي وأهم القضايا الراهنة فيه، والرؤية المقدمة للواقع المغربي يستنتج مايلي:

-الرواية الواقعية المغربية المعاصرة رواية مستجدة لم يكن للأدب العربي والمغربي عهد بها من ذي قبل، تميزت بقوة الكلمة والجرأة في التعبير، واهتمت بالهامش والمجتمعات المريضة، كسرت قيود القيم والتقاليد وضربت بها عرض الحائط، فكانت واقعية إباحية كما كانت صادقة نابعة من تجارب حقيقية لكتاب عايشوا مرارة الواقع.

-عرفت الرواية المغربية تجريبا على المستوى الفني فكسرت الأنماط السردية القديمة من لغة، زمن، مكان، وشخوص.

-رواية محاولة عيش لـ"مُحَمَّد زفزاف" رواية واقعية أحداثها مستقاة من رحم الواقع وبطن المعاناة، احتوت على خصائص وعناصر الفن الواقعي وجسدت نضج الوعي الإنتقادي في الرواية الواقعية.

-صورت رواية محاولة عيش الصراع الإيديولوجي القائم في المجتمع المغربي سواء كان صراعا داخليا؛ أي صراع بين الإيديولوجيات المغربية، أو صراعا خارجيا يتمثل في الصراع بين الإيديولوجية العربية المغربية والغربية الأمريكية والأروبية.

- يقدم الكاتب "مُحَمَّد زفزاف" رؤية إيديولوجية انتقادية للواقع يدعو من خلالها إلى التغيير من الواقع، تأمل الذات والعالم، وتفعيل قيم الذات في المجتمع وعدم الإنبطاح للآخر.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً–المدوّنة: مُحَمَّد زفزاف: محاولة عيش، المركز اثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2011.

ثانيًا: الروايات العربية:

1. حنا مينة: المستنقع، دار الآداب–بيروت، ط7، 2003.
2. مُحَمَّد زفزاف: الحي الخلفي، رؤية للنشر والتوزيع– القاهرة، (د.ط)، 2013.
3. مُحَمَّد زفزاف: المرأة والوردة، المركز الثقافي العربي–ط1، 2007.
4. مُحَمَّد شكري: الخبز الحافي، دار الساقي، (د.ط)،(د.ت).

ثالثا:الروايات المترجمة

1. أونريه دوبلزاك: الأب جوريو، تر: مُحَمَّد مُحَمَّد السنباطي، الهيئة العامة لقصور الثقافة–القاهرة، ط1، 2003.
2. إيميل زولا: السكير، الهلال، مجلة شهرية لنشر القصص العالمي، القاهرة، العدد219، مارس1968.
3. إيميل فرانسوا زولا: تريز راكان، الوحش في الإنسان، تر: رحاب عكاوي، دار الحرف العربي– بيروت، ط1، 2002.
4. دوستوفسكي: الإخوة كارمازوف، الجزء الأول، تر: سامي الدروبي، المركز الثقافي العربي–الدار البيضاء، ط1، 2010.
5. الطاهر بن جلون: زواج المتعة، تر: فاضل مُحَمَّد المزيودي، المركز الثقافي_الدار البيضاء، ط1، 2017.
6. الطاهر بنجلون: أن ترحل، تر: بسام حجار، المركز الثقافي–الدار البيضاء، ط1، 2007.

7. غابريال غارسيا ماركيز: مائة عام من العزلة، تر: صالح علماني، دار المدى للثقافة والنشر، ط1، 2005.

8. مكسيم غوركي: الأم، تر: فؤاد أيوب، المحامي سهيل أيوب، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، ط1، 1983.

رابعا: المراجع العربية.

1. أحمد حمدي: جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري، دار القصبة للنشر- الجزائر، (د.ط)، 2001.

2. ألفة يوسف، وليس الذكر كالأنثى: دار التنوير، بيروت، ط1، 2014.

3. -بوعلي ياسين: الثلوث المحرم دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي،دار الطليعة -بيروت، ط2،(د.ت).

4. جمال شحيد: في البنيوية الكوينية(دراسة في منهج لوسيان غولدمان)، دار التكوين للترجمة والتأليف والنشر- دمشق، ط1، 2013.

5. حامد أبو حمد: في الواقعية السحرية، (د.ط)، (د.ت).

6. -حميد الحميداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الإجتماعي (دراسة بنوية تكونية)، دار الثقافة-الدار البيضاء، ط1، 1985.

7. حميد الحميداني: النقد الروائي والإيديولوجيا (من سويولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص)، المركز الثقافي العربي، ط1،1990 .

8. حميد لحميداني: بنية النص السردي، المركز العربي الثقافي للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991.

9. حميد لحميداني: من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية(رواية المعلم أنموذجا)، منشورات الجامعة، (د.ط)، 1984.

10. الرشيد بوشعير: الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوربية، الأمالي للنشر والطباعة والتوزيع-دمشق، ط1، 1996.

11. صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، ط1، 1980.

12. عباس محمود العقاد: دراسات في المذاهب الأدبية والاحتماعية، دار هنداوي-القاهرة، (د.ط)، 2012.

13. عبد الحميد عقار:الرواية المغاربية تحولات اللغة والخطاب، المدارس-الدار البيضاء، ط1، 2000.

14. عبد الحميد يونس، فتحي حسن المصري: في الأدب المغربي، دار المعارف، ط1، (د.ت).

15. عبد الرحيم الكردي: الرواي والنص القصصي، دار النشر للجامعات، 1996.

16. عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، منشورات إتحاد كتاب العرب، (د.ط)، 1999.

17. عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في السرد)، عالم المعرفة-الكويت، (د.ط)، 1998،(عدد240 ضمن السلسلة).

18. فوزي سعد عيسى: الواقعية السحرية في الرواية العربية، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، (د.ت).

19. فيصل دراج: الواقع والمثال،دار الفكر الجديد-بيروت، ط1، 1989.

20. فيصل غازي النعيمي: شعرية المحكي دراسات في المتخيل السردي، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع-عمان،(د.ط)،2013.

21. لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار-بيروت، ط1، 2002. -مُحَمَّد حسن عبد الله: الواقعية في الرواية العربية، مكتبة الأسرة، (د.ط)، (د.ت).

22. محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية (الكلاسيكية، الرومانتيكية، البرناسية"الفن للفن"، الواقعية ، الرمزية، الوجودية، الدادية، السوريالية)، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، 2007.

23. مُحَمَّد فكري الجزار: العنوان وسيموطيقا الاتصال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1998.

24. مُحَمَّد همام: الفن المغربي جاذبا للإندماج الإجتماعي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات-بيروت، ط1، 2013.

25. محي الدين صبحي: دراسات ضد الواقعية في الأدب العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت، ط1، 1980.

26. ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، ط3، 2002.

27. نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجان-القاهرة، ط1، 2003.

28. نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المذاهب الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 1984.

29. هويدا صالح: الهامش الإجتماعي في لأدب قراءة سوسيوثقافية، رؤية للنشر والتوزيع-القاهرة،ط1،2015.

خامسا: المراجع المترجمة:

1. تيزفيتان تودوروف: الأدب في خطر، تر: عبد الكريم الشرقاوي، دار توبقال، ط2، 1990.

2. تيزفيثان تودورف: الشعرية، ت: شكري المبخوت، رجاء بن سلامة، توبقال للنشر، ادار البيضاء، ط1، 1980.

3. جورج لوكاتش: دراسات في الواقعية، تر: نايف بلوز، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1985.

4. جورج لوكاتش: نظرية الرواية وتطورها، تر: نزيه الشوفي، قوق الطبع والتوزيع محفوظة للمترجم، 1987.

5. ديمن كرانت: الواقعية، من كتاب موسوعة المصطلح النقدي، الواقعية، الرومانس، الدرامه، الدرامي، الحبكة، تر: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.ط)، (د.ت).

6. س، بيتروف: الواقعية النقدية في الأدب، تر: شوكت يوسف، منشورات الهيئة العامة للكتاب السورية، دمشق، ط1، 2012.

7. لوسيان غولدمان وآخرون: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، تر: مجموعة، وراجع الترجمة، مُحَمَّد سيلا، منشورات الأبحاث العربية-بيروت، ط2، 1986.

8. ليونارد جاكبسون: مادية ماركس الأدب والنظرية الماركسية، تر: ثائر ديب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2004.

سادسا: المقالات:

1. شاكر فريد حسن: مُحَمَّد زفزاف شاعر الرواية المغربية، الأدب والفن.

2. الطيب بودربالة، السعيد جاب الله: الواقعية في الأدب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة مُحَمَّد خيضر، بسكرة، العدد السابع، فيفري2005.

3. Abbas K.P. ''Contributions of Mohammed Zafzaf to the fiction in Moroco''.Thesis. Department of Arabic. University of Calicut.2013.

سابعا: المواقع الإلكترونية:

1. yotyoub/ http://bit.ly: quashq yt.

2. https//:www. arabicnadwah.com/15-05-2020/18:00.

3. s.asp<m.ahewar.og/04-06-2020.

4. laune <marayana.com/05-06-2020.

5. https//: www.diwan alarab.com/06-04-2020/14:30.

الملاحق

التعريف بـ"مُحَمَّد زفزاف":

1–حياته وآثاره الأدبية:

أ–حياته:

ولد الكاتب المغربي"مُحَمَّد زفزاف" بمدينة سوق الأربعاء سنة 1945م، عاش طفولة صعبة حيث توفي والده وهو في سن الخامسة، انتقلت أسرته إلى مدينة القنيطرة وهو لا يناهز السنة من عمره. تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بمدينة القنيطرة. بعد حصوله على شهادة البكالوريا 1965م، انتقل "زفزاف"لدراسة الفلسفة بكلية الآداب بالرباط.امتهن تدريس اللغة العربية بإحدى إعداديات مدينة القنيطرة، ثم تولى أمانة الإعدادية بعد أن ترك التدريس. انتقل للعيش بمدينة الدار البيضاء حيث تفرغ للكتابة وعاش في عزلة بويهيمية (1976م) مصطلح يطلق على الفنانين الذين يدعون إلى التفكير الحر المطلق لذلك فهم لا يمتثلون في سلوكهم وأعمالهم إلى أعراف المجتمع وتقاليده).

كانت بدايات "زفزاف" في الستينيات في الشعر قبل أن ينتقل إلى القصة والرواية، وقد نشر قصصه في مجموعة من المحلات الأدبية المشرقية كمجلة"المجلة" المصرية والأقلام العراقية والآداب اللبنانية، وانضم لإتحاد كتاب المغرب سنة (1968م)، وفي سنة (1999م) قامت وزارة الثقافة المغربية بإصدار أعماله الكاملة.

توفي في(13يوليوز2001م)، عن سن الثامنة والخمسين إثر مضاعفات مرض السرطان[1].

---

[1] ينظر: Abbas K.P. ''Contributions of Mohammed Zafzaf to the fiction in Moroco''.Thesis. Department of Arabic. University of Calicut.2013 p96، 103.

ب–آثاره الأدبية:

"مُحَمَّد زفزاف" من الكتّاب الذين حملوا القلم وأبدعوا به في العديد من التوجهات والأنواع الأدبية من شعر ونثر(الرواية، القصة القصيرة، الترجمة،المسرحية، والكتب الأدبية والنقدية) وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على قدراته الفكرية واتّساع خياله.

ب–1–الرواية:

ألّف "مُحَمَّد زفزاف"تسع روايات منذ بداية الستينيات حتى نهاية التسعينات من القرن العشرين.

-المرأة والوردة (1972م).

-أرصفة وجدران (1974م).

- قبور في الماء (1978م).

-الأفعى والبحر (1979م).

-محاولة عيش (1980م).

-بيضة الديك (1984م).

-الثعلب الذي يظهر ويختفي (1985م).

-أفواه واسعة (1988م).

-الحي الخلفي (1992م).[1]

---

[1] ينظر: Abbas K.P.، مرجع السابق، ص112.

ب–2–القصة القصيرة:

لقد تميّز "زفزاف" في كتابة هذا النوع النثري وكان من الأوائل الذين أبدعوا فيه في المغرب الأقصى إذ كتب العديد من القصص القصيرة استمدّ موضوعاتها من واقعه وحياته اليومية.

-حوار في الليل المتأخر (1970م).

-بيوت واطئة (1977م).

-الأقوى (1978م).

-غجر في الغابة (1982م).

-ملك الجن (1988م).

-الملاك الأبيض (1988م). [1]

كان ميول "مُحَمَّد زفزاف" في بداياته الإبداعية بفن الشعر، حيث أعطاه اهتمام بالغة ،ونشر نصوصه الأولى منذ (1963م).كما كتب "زفزاف" العديد من المقالات حيث تجاوزت حوالي الخمسين مقالة .

وعمل أيضا على ترجمة كتابات العديد من الإبداعات الأدبية لكتاب عالميين من الفرنسية إلى العربية،كما نقل بعض النصوص العربية إلى الفرنسية ونشر الكثير من المسرحيات.

2–ملخص رواية محاولة عيش لـ"مُحَمَّد زفزاف":

---

[1] ينظر: .Abbas K.P، مرجع السابق، ص111.

"محاولة عيش" رواية واقعية عالجت العديد من القضايا الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية التي عاشها المجتمع المغربي، وهي رواية قصيرة تتكون من ستة وتسعين (96)صفحة استطاعت أن تقف عند معظم المشكلات التي يمكن أن تواجه الإنسان في محاولته للعيش وكسب قوت يومه وحقوقه الاجتماعية.

البطل "حميد" الذي اضطر إلى العمل في الوقت الذي يجب أن يكون فيه في المدرسة، فعمل كبائع للصحف لكنه يواجه أثناء عمله واقع لا يرحم الصغير ولا يعطف عليه، عالم يأكل فيه القوي الضعيف، مجتمع باع مبادئه في ظل ظروف قاسية من جميع نواحي الحياة(العاهرات، السكارى، الأمريكيون، رجال الشرطة،الملاهي...)، وبالرغم من صغر سنه(ستة عشر سنة) تمكن من السيطرة على نفسه والحفاظ على عاداته وتقاليده، وتعاليم دينه فلم يتمكن من تناول الخمر وممارسة الفاحشة كأقرانه وجيرانه الذين يعيش معهم، وكان عليه مواجهة وتحدي صعوبة الظروف من أجل تلبية رغبات والديه، لكنه وقع ضحية عادات وتقاليد بالية وأم لا تبالي بأولادها أرادت تزويجه من جارته "فيطونة" رغم قسوة الظروف التي يعيشونها(فقد لجأت إلى دفع الرشوة من أجل بناء بيت قصديري صغير وتزويجه فيه).

سلط "زفزاف" الضوء على العديد من المشاكل الاجتماعية التي سلبت طاقة الشعب المغربي وأنهكت كاهله، فالجوع أصبح أنيس وحدته، والفقر داءه، والخمر دواءه، حيث لجؤوا إلى ممارسة كل ما هو سلبي ومخالف لعاداتهم الأصلية، والتي تفشت بشكل كبير في مجتمع محافظ راح ضحيتها الصغير قبل الكبير،فبطل الرواية"حميد" لم يستطع رفض "غنّو" وهي عاهرة في ملهى ليلي راح يلبي طلباتها بعد ما وجدها ضحية شابين مخمورين، فأصبحت خليلته وبسببها تعلم شرب الخمر رغم خطبته لـ"فيطونة"، التي كان يعدها الزوجة المقدسة فقد كان واثقا من عفة خطيبته التي اشتهاها جميع من يقطن حيه، ورأى في نفسه الشاب المحظوظ دون الكل لأنّه ظفر بها لكنه خاب ظنه يوم عرسه حين وجدها ليست عذراء، فالرياح غالبا ماتجري بما لا تشتهي السفن، ترك حميد المكان وهرب.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة ..... أ

الفصل الأول: الواقعية في الرواية المغربية .....

1-مفهوم الواقعية. 6

2-خصائص الواقعية 11

3-أنواع الواقعية. 15

4_الواقعية الاجتماعية في الرواية المغربية المعاصرة..... 32

الفصل الثاني: رواية محاولة عيش ورؤية الواقع..... **48**

1-تجليات الواقعية في رواية "محاولة عيش"لـ "مُحَمَّد زفزف". 49

2-تحليل سوسيوبنائي للرواية. 56

الخاتمة..... **57**

قائمة المصادر والمراجع..... **57**

الملاحق **57**

فهرس المحتويات **57**

ملخص البحث.

الواقعية أدب ديموقراطي يهتم بالنزول إلى واقع الهامش الإجتماعي، وينقل المعاناة والإسفاف الذي يعانيه أبناء الهامش، كما يقدم رؤى معينة اتجاه الواقع آملا في التغيير والبحث عن البديل، والواقعية واقعيات تختلف باختلاف الخلفيات الفلسفية لكل نوع. ويمكن القول أن الواقعية في الرواية العربية عموما والمغربية خصوصا اهتمت ارتبطت بالمجتمع والبيئة العربية، ونزلت إلى هامش الحياة والمجتمع، ونقلت صورة المجتمع العربي والمغربي المنفلق من جميع مستوياته الفكرية، الإقتصادية، الإجتماعية....وقد تجلى هذا الطرح الواقعي في الأدب في رواية "محاولة عيش" للكاتب "محمد زفزاف"، حيث قدم صورة المجتمع المغربي الذي يشهد صراعا إيديولوجيا مختلفا، إضافة إلى مجموع المشاكل الإجتماعية الفقر، البطالة، والجوع، وقدم رؤية إيديولوجية لهذا الواقع محاولا بذلك أن يسعى إلى التغيير في المجتمع.

Abstract

Realism is a democtatic literature approach , deals with the painful reality of society , and expresses sufferings of people who live in profound regions , it gives also an insight about reality hoping for change and seeking for an alternative.

Realism approach is consists of many realistic experiences ; each differs according to different philosophical background of each kind .

Realism in Arabic and Maghreb literature tends (appears) to be related to the arabic background and society , it projects and unveils the hard living of the arabic and maghreb society , broken from all levels namely : intelectual , economic and social level

Mohammed zafzaf's novel : '' A Trial for living'' demonstrates same realistic view in littérature , the writer exhibited the ideological struggle among Arabic societies and exposed the myriad social issues such as : poverty , unemployment nd hunger , he exposed also his own view about reality as a trial change in the future .